

محمد جميل الخطاب



١١ - ٢٩

د. الشهير العربي

٥١١٢١٧٥





**الحيوان في الشهر الهربي**

\* العيون في الشعر العربي

\* تأليف: محمد جميل الخطاب

\* جميع الحقوق محفوظة

\* الطبعة الأولى 1999

\* الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع

· سوريا - اللاذقية - ص. ب 1018 - هاتف 422339 ·

محمد جميل الخطاب

# العيون في اللشعر العربي

دار الحوار



## إهداء

إلى العيون الحية الجميلة  
التي كنت بنورها أكثر رؤية  
وبوحيتها أبعد إلهاماً



---

## تقديم

د. علي عقلة عرسان

ما الذي يتadar إلى الذهن أولاً عندما تذكر العين؟ أهي الرؤية بنعمها وصفاتها ومواصفاتها ووظائفها ومايترجع عن ذلك كله من خير وشر؟ أم الجمال الخاص، والعام بمقاييسه ومقوماته وقيمه، وماتضييفه البصيرة إلى البصر ومايحمله البصر من البصيرة، عندما تكون العين لسان القلب ونافذة الروح أو منفذًا لها، تحمل مكون القلب الذي يطفر مع أشعتها ويستشف بواسطتها ما فيه، وتسلل ما في النفس إن خيراً وإن شرًا، إن ضعفاً وإن قوة؟ وما الذي في هذه الحاسة مما يبقى بحكم فيزياء الجسد وما الذي يصبح منها جزءاً من كيمياء الروح لا يتحكم به الجسد؟! أسئلة في سؤال طرحته على نفسي عندما تناولت يدي مخطوط هذا الكتاب قبل أن أقرأ فيه حرفاً، وعندما انتهيت من قراءته لم يبق في نفسي ظلال لسؤال الأسئلة؛ فقد طاف

المؤلف بي في جولة واسعة امتدت من عرض  
أفكار لفلاسفة علم الجمال فيما يتعلق بالجميل  
وصفاته والجمال ومقوماته، وما يحصل من ذلك  
بالحكم عليه وبتدوينه، إلى ما يثير في النفس  
كوانن الشوق عندما يعرض عليها منخول  
الشعر، فيثير فيها رئيس الحب، وزروعاً إلى  
الجمال المغشى بالألوان من الانفعال والصبو  
والصباء، مما لا يمكن محاوزته معبقاء التوازن  
والاتزان في مواقعهما المعهودة.

في هذا الكتاب (العيون في الشعر العربي)  
للأستاذ محمد جميل الخطاب استعراض لما  
يتصل بالعيون في تسقين عامين:

\* نسق الجميل خلقاً وشكلاً وتشكلاً مادياً  
ما تتوافق فيه أعمدة الجمال وفروعه وتفاصيله  
وما يضاف إلى ذلك من ملح الجمال، يزكي به  
ويشتد وقعه في النفس، من مشتقات الروح  
والطبع والطبع، تلك التي تضفي على الشكل  
الجميل روحأ يبقى من دونه تماماً حجرياً  
جميلاً، من حلوة وللاحة وحيوية تبعث  
الجمال إعصاراً يزروع الأعماق، ويعم كل

ما فيها قبل أن يستقر بها على صيغة ما من الشجو والشدو والاستساغة والتسويف القبول والرفض.

\* ونسق الجميل إبداعاً واستساغةً وقيمةً معنويةً وروحاً مبتوثاً في صور الإبداع الفني والأدبي والفكري، مما يجعل الوعي المعرفي في نفس يعيد تكوين المعطيات في صور جمالية مستساغة، أو يعيد النظر بمقاييس الجمال ومعاييره على نحو يسمح بإعادة نظر بما استقر عليه الذوق من حال مع الجمال ومعاييره وأثاره وتأثيره.

وما استعرضه المؤلف بتر كيز هو مما يندرج في النسق الثاني، وما جاء في هذا النسق لاتتفق في وجهه حدود، وربما كان من طبيعة الإبداع أنه يتتجاوز المألوف والمحدد والمقييد، ويسبح في بحر بلا ضفاف، ويعوص في أعماق، ليخرج بدرر قد لا تخطر على بال؛ ولذا فإن ما جاء في هذا النسق الذي يشكل قوام الكتاب غني ومفید وجذاب، ففضلاً عن جنیه لأجود ثمار الإبداع وأشهارها من مظانها البعيدة عن متناول من لا يبذل جهداً

متيناً في البحث، فإنه لم يدع حدائق من حدائق شعر العرب: قديمه وحديثه إلا وقطف منها ثمرة وحمل منها غصناً؛ ولكنَّ ما علق ببرده وسلامه من ورد الحدائق وعطرها يغري بتلقي القلب من بعد شم أو نظر؛ لأنَّ ما حمله من فاغم العطر وشهي الشر ومترف الورد لا يترك النفس من دون أن يغريها باتباعه، ولا يترك الذاكرة التي يطرق بابها من دون أن يفتح نوافذ الماضي لها ويستثير مكنوناته. فالشعر الذي قدم سحر العيون وتاريخ العشق وارتعاش المشاعر، وأشار إلى الجمال باجتهاد، من خلال قطوف الإبداع جاء مؤكداً نجاح البحث ودالاً على ذوق وتبصر وبذل جهد لا يستهان به؛ وهذا يستحق ذكرأ وتقديرأ.

ولم يدخل الباحث بجهد في تقصي المعرفة حول مواضيع تتصل بالبصر أو بال بصيرة لاستكمال بحثه، كما أنه عرج على أبواب أخرى في مجال المعرفة المتصل بالعين لغة ومدلولاً ودقة وصف وهوامش دلالية، تعطي لما قد يظن أنه متزادات حق الحضور عند الاستخدام العلمي الدقيق للكلمات، حق الحضور في لغة ومعرفة من يريد أن يتعامل مع

اللغة بعلم ودقة معرفة. وما أشار إليه أبواب  
تحصل بما قيل إنه فعل العين من نظارات تحمل شرائط  
كالحسد القتال والنظرة التي تندى المؤاد في الرماد.

إنه كتاب يستحق القراءة، وجهد باحث  
يستحق الاهتمام، وموضوع يستحق الاستكمال،  
إذ لا يبلغ الكمال إلا من هو الكمال بعينه؛ فتحية  
للباحث مع أطيب التمنيات.

الدكتور علي عقلة عرسان



استهلاك \_\_\_\_\_

## **استهلاك**



العين مرآة النفس، وفتحت شخصية الإنسان، ومجتمع قواه، ومعانيه المختلفة. فيها يتجلّى الحب، والبغض، والعداوة والصداقة، والرحمة، والقسوة، والذكاء والغباء، والقوّة، والضعف، والحزن، والسرور، والصحة والمرض، والأمر والنهي، والهدوء والقلق. العين ترجمان الضمرين، كوة على المدى، باب إلى التعرّف، مصدّر للجمال.

وقد فيها الملهمون عالم أسرار، وجمالات، واستيحاء، وقابل بها المحبّون من أحبّوا بقولهم: «أنت عيني»، وأقسم بها الواثقون «وحياة عينيك» وقرنها المغتنون بالليل فأكثروا من تردّيد «ياعيني ياليل»<sup>(1)</sup>.

العين والقلب جناحان للحياة. هذه ترى الوجود على سطحه، وذلك يرى الكون في أبعاده وأعمقه، ولذلك سميت عين الوجه باصرة، وسميت عين القلب بصيرة. العين أمّ الحواس لاتقوم المقدرات إلاّ بعد أن تمرّ على ميزانها أولاً.

الله عرف بالعين في تجلّيه فقيل في حقّه، حضور، شهود، تجلّ.

شك اليونان ثمّ آمنوا بالله رأوها، وحار بنو القدس، واستلأنوا لإله تجسّد في طفل من الناصرة، ثمّ رأه القديس توما فكانت الرؤيا إيماناً،

---

(1) - العين في الشعر العربي. د. علي شلق الصفحات (5 - 8)

ونفى عنه الإسلام الصلب فمثّله لعين العقل مرتفعاً إلى الله.

حتى سيدنا موسى كلام الله عزّ وجل فصاح «رب أرني أنظر إليك»  
فالعلم لا يصير علماً إلا إذا أفرّته العين.

العين تتناول الشكل، الجو، الوضع، وما يوحّي به كل ذلك. فهي صورة عن المطلق الذي يحتضن الكون بعين رعايته مثلاً هي باب كل واقعٍ مرئيٍ.

العين أداة البصر، وأرقى الحواس الخمس. وهي مع ملحقاتها الحاجب والجفون، والجهاز الدمعي أغلى شيء يملّكه الإنسان في دنياه، لأنها الصلة بينه وبين عالم الضياء والنور. هي وعاء سحري رائع تنطوي فيه صورة الأرض والسماء. لحظتها سهام تصيب جوارح، وتذكّي قرائح. هي ينبوع الوعي والجمال يعجب الشاعر بظاهرها وتقتنه لحظاتها وغمزاتها، ويتخيل ما في أعماقها من أسرار حسب إحساساته ووجوداته، ويصفها بقدر ما في شاعريته من ضعف أو قوة. هي أجمل قطعة فنية وصفها الله في خلقه وجعلها فتنة للناس «وزوّجنهم بحور عين».

ولقد كان الشعراء العرب يدعون في ابتكار المعاني، وصياغة الألفاظ، ويقدمون لأجيالهم وللأجيال اللاحقة تراثاً رائعاً في وصف العيون.

يُشّرون المشاعر، والأحاسيس الحلوة؛ فيرى المرء العيون بعين الخيال تسّمو، وتعالى بالجمال. ومن الحقائق المعروفة أنّ تذوقنا للعمل الفني يعتمد أساساً على حاسة البصر التي يمكن أن تشير حواس أخرى كالسمع والشم والذوق...

وكما يذهب بعض الشعراء - مثال رامبو - إلى أن الكلمات كيمياء خاصة بها، وأن الكلمة يمكن أن تتحي بالصورة والإيقاع، والملمس والطعم، واللون، والرائحة.

وكذلك يرى بعض المصورين أننا حين تمسح أعيننا صورة ما لانرى أواناً وخطوطاً فقط؛ بل نشم رائحة، ونسمع أصواتاً تتفاعل في بوتقة الخلق لتصبح طاقة من الانفعال الذي يحدد لنا بدوره إيقاعاً، ونغماً تتبعه بأعيننا على السطح المرسوم.

وقد كتب المؤرخون عن عيون الملكة زنوبيا فقالوا: إنها أسهمت في إقامة علاقات خاصة بين الصحراء والقمر.

من أجل هذا كله كان الدافع إلى كتابة هذا البحث، والغوص في كنوز التراث العربي على فرائد من الأدب الحالص في وصف العيون، وأفعالها، وتأثيراتها، وإيحاءاتها. فتتجتمع لدى شعر كثير ربته، وعرضته في هذه الدراسة الانطباعية التأثرية التي تعتمد على التأثر الذاتي، والتذوق الفني والاطلاع الواسع على مؤثر الأدب، والبحث عن القيم الشعورية والتعبيرية للعمل الفني.

وقد قسمت الكتاب إلى عدة فصول. حاولت فيها أولاً أن أعرض باختصار آراء الفلسفه عبر العصور، في الجمال وفلسفته والفرق بين الجميل والحسن ومفهوم الجميل في كتب اللغة العربية.

وانقلت بعد ذلك إلى الحديث عن ثقافة العين، وأنواع النظر. ومحاسن العين، وأوصافها، وما قاله الشعراء فيها منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث دون مراعاة للتسلسل الزمني بشكل دقيق.

كما تحدثت عن معايب العين وسلبياتها.

وفي نهاية البحث قمت بجولة فنية في آفاق العين الواسعة متابعاً ظاهرة اهتمام الشعراء العرب بالعيون وتنوعاتهم الجميلة في وصف أفعالها وتأثيراتها لأصل إلى نتيجة توضح خصائص الذوق الجمالي عند العرب، وتطوره عبر العصور استجابة لحاجات جمالية ولدتها أنماط المعيشة وتغيرات الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

ولذا كانت هذه الدراسة محاولة لفهم تجلّيات الشعراء المتعددة جداً فلا أدعُني بلغت بها الغاية المرجوة، فربما عرفت شيئاً وغابت عنّي أشياء. وجل ما أرجوه أن تكون وسيلة يستطيع بها الراغبون في البحث أن يرتكزوا على هذه الظاهرة ويفنّوها بمزيد من التفصي والتحليل.

والله ولي التوفيق

المؤلف

اللاذقية في ٢/٢/١٩٩٩

الفصل الأول

---

## الفصل الأول

- مدخل إلى معرفة الجميل
- الجميل في كتب اللغة
- بين الجميل والحسن



## مدخل إلى معرفة الجميل

لم يحظَ علم الجمال في عصر من العصور بمثل حاله في حضارة اليوم من مكانة وأهمية. فبعد أن كان فرعاً من فروع الفلسفة غايتها البحث في الجمال عامة، وفي الإحساس الذي يتولد في النفس من خالله. أصبح يتجه لأن يكون علمًا من العلوم الوضعية، له أنسنه المستقلة، وطراقيه، ومنهجيته. يقول بول فاليري: (نشأ علم الجمال يوم تفتح حس الفيلسوف للملاحظة، وقلبه للسوق). إن الشعور بالجمال وتذوقه راسخان في الإنسان لا يتوقفان عن تغذية وعيه. وبحث الإنسان عن الجمال كما يقول «جيلسون»<sup>(1)</sup> موضوع رغبة وحب، رغبة في أن يتحقق ذاته في عالم مؤنسٍ متناسق، وحب أن يرى نفسه فاعلاً مبدعاً بمعرفة قوانينه، ونظام حركته وتطوره.

إن الفلسفة الأفلاطونية تُعدُّ أصلاً لجنور كل علم للجمال.

فالفيلسوف اليوناني «أفلاطون» يتصور في عالم الأفكار جمالاً مطلقاً لا يدرك بالبصر أو السمع، ونحن باسمه نحكم على هذه الأنواع غير الكاملة من الجمال في هذه الحياة الدنيا، لأننا ورثنا الذكرى المهمة لهذا المثال من حياة سابقة عشناها في محفل الآلهة.

(1) - جيلسون E. GILSON: مدخل إلى فنون الجميل - باريس 1963 ص.5.

إنَّ ماهية الجمال توجد في النموذج في مثال الجمال الخالد الذي يضيء عالم الجمال كما تضيء الشمس العالم الأرضي. الجمال في ذاته مثال مطلق غير محسوس لا يمكن أن يسبقه مثال آخر أو أن يأتي بعده. ولكنه وحده الجدير بأن يسعى المرء إلى الاقتراب منه<sup>(1)</sup>.

الجمال في ذاته هو الله عينه كما تشرح لنا نظريات الزهد في المأدبة<sup>(2)</sup>.

إنَّ عشق جسد جميل يؤدي إلى عشق النفوس الصالحة ومن ثم الأفكار، وأنهياراً القدرة الإلهية نفسها. وبعد فإنَّ منبع كلُّ جمال هو جمال أول ينفت، بمجرد وجوده، الجمال في كلِّ الأشياء التي نسمُّيها جميلة كما جاء في فيدون<sup>(3)</sup>. ويرى «سocrates» أنَّ الجميل يصير جميلاً بالجمال. حيث يقول في محاورة «فایدوس» إننا بعد أن هبطنا إلى هذا العالم عرفنا الجمال معرفة أوضح من معرفتنا لسائر الحقائق بواسطة أكثر حواسنا نوراً بواسطة البصر أدقُّ أعضاء الجسم. وصار الجمال يشتراك في كونه أكثر الأشياء وضوحاً، كما أنه أجردها بالحب. غير أنَّ الإنسان يسعى طول حياته إلى الاتحاد بهذا الجمال غير المتجسد، غير المادي. إنَّ البحث عن الجمال هو رغبة في الخلود، ونوع من إرادة التطهير التي تبعث في الإنسان الحب والغبطة.

(1) - دنيس هويسمان - علم الجمال «الاستطيفا» ص 19.

(2) - حوار لأفلاطون حول الحب ينطلق من الجمال الجسدي، فالجمال الروحي، فالجمال الكامل الأبدي.

(3) - حوار لأفلاطون فيه آخر لحظات سocrates وأخر آرائه لتلاميذه قبل مقتله.

أما أفلوطين (205 - 270) فيعرف الجمال بالوحدة وبالصورة الخالصة، والترتيب. فالجمال في الموجودات هو تماثلها وانتظامها؛ ذلك لأنّ الحياة صورة، والصورة جمال.

ويرى الدارسون أنّ المعرفة الجمالية لاقتصر على معرفة الأشياء كما هي وفق مبادئ المعرفة العامة؛ إنما تفرض وجود ماهية جمالية تعبر عن الموجود، وعن صفتة الجمالية المولدة للشعور الجمالي الذي ندرك الموجود بموجبه.

ويتفق المثاليون على أنّ الجميل ينتمي إلى العالم الروحي الأمثل لكنّهم يختلفون على المنبع حيث تؤكّد المثالية الموضوعية أنّ الجميل ذو طبيعة متكاملة مستقلة عن ذات الإنسان الذي يقتصر دوره على التأمل وحسب؛ لأنّ الجميل يفرض موضوعاً على العقل، وهو روحي بطبيعته.

إنه بكلمة واحدة «مطلق»<sup>(1)</sup>. ولا تبتعد الفكرة الدينية عن هذه النظرة؛ إذ تقوم على العلاقة الثانية (الله - المخلوقات) فالله يخلق الأشياء الجميلة التي تتمتع بوجود مستقل وسامٍ موضوعي في الله الخالق الأوحد.

أما المثاليون الذاتيون فيؤكّدون أنّ الذات الإنسانية هي المنبع الخالص للجمال، ويختصون فكرتهم الأم بأنّ أية ظاهرة في العالم إنما تكتسب قيمتها، وحقيقة وجودها من خلالوعي الإنسان. فالوعي وحده هو قادر على خلق القيم الجمالية وتقديرها. والذات مصدر التقويمات كلّها. وهكذا لا يصدر الجميل الذي نتحدث عنه إلاّ عنا ولا يوجد إلاّ

---

(1) - أفلاطون - المأدبة، باريس 1964 ص 72.

فينا، ومن أجلنا<sup>(1)</sup>.

وينطلق «أولانيه» من مبدأً مثالي ذاتي يتعلق بطبيعة الجمال الحسية التي تؤثر في عاطفة الإنسان، وتقود فيه الشعور الجمالي فلا يمكن أن يكون الجميل مدركاً، ولا متذوقاً إلا من خلال الحواس ولا سيما السمع والبصر.

ويرى الفيلسوف «كنت» أنَّ الجمال الطبيعي شيءٌ، والجمال الفني تمثيل جميل لشيءٍ ما؛ شيءٌ ليس جميلاً بصورة ضرورية طبقاً لجمال آخر في الطبيعة؛ إذ من الممكن أن نجعل القبح الطبيعي جمالاً فنياً.

فجمال شيء لا يتوقف على طبيعته بل على حرية الإدراك والتخيل؛ تلك العملية تتم لدى أي ناظر فيما إذا وقع بصره على هذا الشيء مهما كانت طبيعته، خارجاً عن هذا الناظر.

هذا التقابل بين الشخص المفكِّر، وبين الشيء المفكَّر فيه هو عرض خطأ للمشكلة الجمالية. والعرض الحقيقي ليس أمر فصل هذين العاملين بعضهما عن بعض؛ وإنما هو تعاونهما.

فلا إبصار بدون شبكة عينية؛ ولكن مع وجود الشبكة لا إبصار بدون شعاع ضوئي.

وجمال نعم حلو، أو قبح لحن متتافر يتوقفان بعض الشيء على وعلى انفعالي الشخصي؛ ولكتي مرتبٌ بهما أيضاً ماداما يجعلانني أهترُّ نفسياً وجسمياً.

(1) - شارل لالو - مقاهيم علم الجمال - باريس 1952 ص 2

وقد ظنَّ كثير من المشرعين في علم الجمال أنَّ عواطفنا تصبح أجمل كلُّما كشفت عن الجوهر العميق للأشياء أكثر مما تفعله الطبيعة التي لا تقدم لنا سوى مظاهر سطحية، أو ما يفعله العلم الذي لا يبرز سوى تجريدات اصطناعية<sup>(1)</sup>.

وفي رأي «كنت» هناك أربع قضايا تحدد الجمال<sup>(2)</sup>.

- 1 - الذوق: هو ملحة الحكم على شيء، وعلى طريقة تعبير متجردة سواء بالرضى أو بالرفض. ويكون جميلاً ما يعبر بالرضى.
- 2 - يكون جميلاً ما يكون موضوع إعجاب؛ فالجميل يعجب دون مفهوم. أي دون اللجوء إلى منطق ضيق. يعني دون الحاجة إلى إثبات الجمال بحججه.

3 - الجمال هو شكل القصدية في الشيء الجميل. وإذا كان النافع يوحى بالهدف أو بالاستعمال فإنَّ الجميل على العكس لا يوحى بصلة وجوده، بل يوحى بارتباط داخلي ضمن تكوين الأثر.

4 - يكون جميلاً ما يكون معروفاً هكذا دون مفهوم معين على أنه اكتفاء ضروري. إذا فالجميل هو ما كان أبداً حائزاً على رضى شامل كافٍ ضروري.

ومن صفات الجمال التي حللها الفيلسوف «كنت» في كتابه «نقد الحكم»<sup>(3)</sup> أنه موضوع إمتاع نزيه خالص. ويتبين معنى ذلك عند التفريق بين الشيء الجميل، والشيء الشهي، أو اللذيد، وبينه وبين

---

(1) - شارل لالو - مبادئ علم الجمال - الصفحات 22 - 39.

(2) - أندريه ريشار - النقد الجمالي - ترجمة هنري زغيب ص 210.

(3) - د. عبد الكريم اليافي - دراسات فنية في الأدب العربي - الصفحات (66 - 67).

شيء الجيد، أو النافع؛ فقد نحكم على شيء فنقول: شهي، أو لذيد إذا أمكن أن يجلب لذة وسروراً. وقد نحكم عليه فنقول: جيد، أو نافع إذا استطاع أن يسد عوزاً، أو يقضي حاجة.

ولكتنا في حكمينا إنما نصدر عن مطعم؛ فليس كلا الحكمين نزيهاً لأنَّ اللذيد والنافع يلائمان رغباتنا، ويرضيان ميلنا. بيد أن الحكم الصادر عن الذوق الفني خالٍ من هذه الشوائب، حاصل في حالة تأمل محض.

وقد أشار «كنت» في معرض تحليله للجمال وصفاته، إلى أنه يتعمَّن بالتناسب القائم بلا هدف أو بحسب تعبيره «هو غائية تلمح في الشيء الجميل دون تصور أي غاية».

وتحسن الإشارة إلى أنَّ هذا القول يشكُّل قالباً جديداً تلوح منه الفكرة القدية الراعمة أنَّ الجمال هو الوحدة التي تلمح من خلال الكثرة، أو الكمال الملموح لخَّاماً مبهماً.

يقول لييتز «إنَّ الجمال تصوُّر مبهم للكمال».

أما الفيلسوف الألماني «هينغل» الذي تزخر مؤلفاته في علم الجمال بشروء لا ينفك معينها فيرى أنَّ العقل وحده هو القابل للحقيقة. وكل ما هو جميل يجب أن يكون حقاً وصادقاً جميلاً. الخير الكلي حق كلٍّ وبالتالي جمال كلٍّ.

وعندما نقول: إنَّ الجمال فكرة نقصد بذلك أنَّ الجمال والحقيقة شيء، فالجميل لا بدُّ بالفعل أن يكون حقيقياً في ذاته. وال فكرة بالفعل حقيقة لأنَّها متصوَّرة في الفكر بصفتها هذه بمقتضى طبيعتها، ومن

وجهة نظر شموليتها؛ غير أن المفروض بالفكرة أن تتحقق نفسها خارجياً، وأن تحوز وجوداً محدداً من حيث هي موضوعية طبيعية، وروحية.

ويقدر ما يبقى المفهوم غير قابل للانفصال عن ظاهره الخارجي فإنَّ الفكرة لا تكون حقيقة فحسب بل جميلة كذلك. على هذا التحوُّل يتَحدَّد الجميل بأنه التجلي المحسوس للفكرة. فالجمال هو ما يميز الهيئة بعينها سواء في حالة السكون أم الحركة بصرف النظر عن تكيف هذه الحالات مع تلبية الحاجات، وبصرف النظر عما يمكن أن يكون في الحركات نفسها من جانب مؤقت، وعارض. غير أنَّ الجمال لا يمكن لغير الشكل أن يعبر عنه؛ لأنَّ الشكل هو وحده التظاهر الخارجي الذي بواسطته نضع مثالية الكائن الحي تحت متناول حواسنا، وتأملنا الحسجين.

ويذهب «هيغل»<sup>(1)</sup> إلى أنَّ الفن إذا بلغ غايته القصوى فإنه يشتراك مع الدين، والحياة في تفسير الإلهي، وإيصاله. وكذلك بالنسبة لأكثر المطالب الإنسانية عمقاً، وأشد حقائق الروح اتساعاً<sup>(2)</sup>. أما الصوفيون فيفضلون الموقف السلبي القائل بعدم جود منهج لعلم الجمال، ويذهبون إلى أنَّ العقل وحده لا يكفي لفهم الجمال؛ بل لا بد أن نقف خارجاً عن هذا العقل في حالة من الانجداب للكشف عن حقائق غير حسية.

وباسم منهج جمالي علمي ينص المبدأ الأساسي للجمالية الماركسية على وجوب معاملة الفن كأيديولوجيا، وعلى تشديد اللهجة على الطابع الظبقي للفن؛ لأنَّ هناك رابطة محددة بين الفن والشروط المادية (مجمل علاقات الإنتاج).

(1) - هيغل - فكره الجمال - ترجمة جورج طرابيشي الصفحات 33 - 51.

(2) - دنيس هويسمان - علم الجمال ص 45.

فالعمل الفني يحقق وحدة متناغمة بين الشكل، والمضمون. لكنَّ المضمون بحسب هذا المنهج هو الذي يحدد الشكل؛ لأنَّ لكل تشكيلة اقتصادية للمجتمع شكلاً فنياً يتطابق معها، ويعبر عنها بهذه الصورة أو تلك. فالممارسة التاريخية الاجتماعية هي التي ولدت في رأي ماركس (أذناً موسيقية وعيناً حساسة لجمال الأشكال، أي أن الجميل لا يكون خارج الواقع المحسوس).

ويرى «هربرت ماركوز»<sup>(1)</sup> في كتابه «البعد الجمالي» أنَّ علم الجمال ذاتي، وموضوعي في آن واحد. فالجمال الذي تتحدد عنده هو فينا وبنا ومن أجلنا. والأشياء لا تتصف بالجمال أو القبح إلا من خلال تصوُّرنا لها، وتفهمنا إياها. فهي ماهي عليه، وكل نعْت خارجي عنها لا يأتيها إلا منا. وهكذا فإنَّ مغيب الشمس يشير في الرجل العادي فكرة العشاء، ويشير في العالم فكرة تحليل الضوء. وليس مغيب الشمس جميلاً إلا عند الذي ينظر إليه بعيني فنان وهو مأنحوذ داخلياً بتأمله.

أما الناقد «جيروم ستولينتز» فيشير في كتابه «النقد الفني» أثناء مناقشته فكرة الجمال إلى أنَّ الوجه الجميل والمتناظر الشكل يمكن أن يكون بارداً، أو عديم التعبير. فالمدلول الروحي يجب أن يتجسد من خلال ما هو أساسى وجوهري فيه. يbeth الحياة في التظاهر الخارجي من أوله إلى آخره الروح المتجسدة في الواقع الفعال.

إنَّ إدراك الجميل في الفن لا يتم دون الأخذ بعين الاعتبار طابع الإبداع الفني «الأسلوب والمضمون». إذاً الفن جميل دوماً. وربما فسر

(1) - هربرت ماركوز - النقد الجمالي - ترجمة جورج طرايسي ص13.

لنا ذلك سبب إطلاق مصطلح الفنون الجميلة الذي ييدو وكأنه مؤسس ميدانياً على هذا التقويم الجمالي<sup>(1)</sup>.

فالفن يخطب إعجاب المتذوقين؛ ليس لأنه يصور موضوعات جذابة أو جميلة فحسب إنما لأنه يحقق من جانب آخر «الإغراء مع القبح، والسحر مع المعرف».

وهذا لا يعني أنَّ الفن يجمِّل قبح الواقع؛ وإنما يصُوره بتعبير جميل. وهذه نقطة دقيقة يجب توكيدها. فمزية الفن هي: أنه يجعل ظواهر الواقع أكثر بروزاً دون تغيير قيمتها الجمالية. وهكذا فإنَّ الوصف البليغ «الأحدب نوتردام» لـ«لهيغو» لا يجمِّل هذه الشخصية بل على العكس يعبر قصديراً عن قبحها.

ولو تسألنا عن الجهاز الذي تتبدى فيه النفس من حيث هي نفس لذهب بنا الفكر حالاً إلى العين؛ ففي العين تترَّك النفس؛ لأنها لا تبصر عبر العين فحسب؛ بل من هذه الأخيرة يمكن أيضاً إبصارها.

إنَّ مهمة الفن هو العمل على أن يغدو الظاهري في مختلف نقاط سطحه هو العين، مقر النفس، كاشفة الروح. ولعلنا نذكر البيتين الشعريين المشهورين اللذين يناجي فيما «أفلاطون» النجمة ASTER بالقول:

حين تنظرين إلى النجوم، وانجمناه.

أوْ لو كنت أنا السماء ذات الملة عين، لأتأملك من عالي سمائي.

---

(1) - ستولتيز - النقد الفني ص 287.

ولعله في مقدورنا لو قيلنا المعنى أن نقول: إن الفن يجعل من كل وجه من وجوهه «أرغسا»<sup>(1)</sup> له ألف عين من أجل أن تبدي النفس والروح في جميع نقاط الظاهرة<sup>(2)</sup>. ولعل من فوائد هذه الدراسة أنها ستحررنا من أثقال قضية النسبة الجمالية. وإذا كان سياح لنا أن نتحسس الوجود الحقيقي لتبدل الذوق عبر العصور فإننا سنجد تفسير ذلك في وظائف الفن التي تبيّن أنَّ التغيير الحادث في ذوق جماعة بشرية يتافق مع حاجة جمالية جديدة عند هذه الجماعة. وهذه الحاجة الجمالية تأتي مباشرة بعد الحاجات الانتقائية كالمأكل والمسكن عند بعض المجتمعات البشرية.

إن الدوافع الجمالية قد تكون مختلفة وكثيرة. ومن أبرزها<sup>(3)</sup>:

- 1 - إننا بحاجة إلى شيء من معايشة الفن؛ لأننا بحاجة إلى أن نجعل حياتنا على قدر من الجمال والنبل.
- 2 - عندما تطبق علينا الهموم من كل جانب يتحقق لنا أن نفر منها إلى خلوة حميمة مع الفن بأنواعه.
- 3 - وقد نلجأ إلى الفن أحياناً لإقامة علاقات بيننا وبين الآخرين؛ لأنها تتيح لنا اكتشاف مسالك في حياة الناس.
- 4 - وأحياناً نشعر بجوع وعطش إلى الأحساس الملتئبة. وهو شعور أقرب ما يكون بالطبع إلى فكرة التطهير النفسي.

(1) - «أرغس» أمير من أمراء مدينة «أرغوس» تقول الأسطورة: إنه كان له مئة عين وإن خمسين منها تبقى مفتوحة على الدوام.

(2) جيرول ستولنتر - النقد الفني ترجمة د. فؤاد زكريا ص 425.

(3) - اتيان سوريو - الجمالية عبر العصور - ترجمة د. ميشال عاصي - الصفحات 20 - 21.

٥ - وقد نجد أنفسنا مدفوعين إلى البحث عن مشاعر غريبة من شأنها أن تفتح لنا أبواب كنوز عاطفية فيها من صفاء الجوهر، وخصائص السمو والعظمة ما يجعلها تشيع في داخلنا خلال فترة معينة كل مانودُ أن نراه مترجأً بلحمة وجودنا وسداه.

هناك من يرى أن المنفعة هي أساس التقدير الجمالي، وأننا نحكم على الشيء بأنه جميل لأنه نافع وهذا الرأي لا يقوم على أساس صحيح.

وهناك مدرسة ثانية ترى أنه يجب التمييز بين صفة الجمال وبين المنفعة.

فقد يكون الشيء غير نافع ومع ذلك جميل كالعشب السام مثلاً والحياة الرقطاء، تقول: إنه جلد جميل ومع ذلك فإن الحياة ذاتها ضارة.

ونحن في الواقع لانصف الفن الجميل بالصواب والخطأ وكل ما يمكن وصفه به من هذه الناحية هو أنه سلوك، أو تعبير صادر من ناحية الفنان.

ولهذا فإننا يجب أن نؤكّد بطريقة حاسمة الفصل بين القيمة الجمالية والأخلاق.

ثمة شعور بالجمال وثمة حكم بشعور الفرد أو إحساسه بهذا الجمال سواء كان الحكم تحليلياً أم تركيبياً.

ولكنَّ الحكم هنا يختلف عن الحكم الأخلاقي كما يختلف عن الحكم المنطقي.

في بينما نجد الحكم الأخلاقي يتخد الإرادة والواجب أساساً له نجد أنه يتعدى إصدار حكم مطلق من الناحية الجمالية؛ لأن تعدد الأحكام الجمالية يرجع إلى الاختلافات العديدة بين أذواق الناس وإلى تنوع اهتماماتهم.

إن اختلاف النظرة للجمال يعود إلى تعدد آراء الفلاسفة وعلماء الجمال في كل أمة.

فالفلasفة يصدرون أحکامهم التي تعبر عن روح أمتهم. فمثلاً الإنكليز تجربيون، والألمان مثاليون، والفرنسيون عقليون. والجمال عند الهند يتمثل في شفاه غليظة متflexة، وأنف مفرط ضخم، وأهل بيرو ينسبون له الآذان الكبيرة..

وقد يصيب التطور هذه الحاجات الجمالية مع الزمن على صعيد الفرد والجماعة؛ فتختلف الأذواق وتتحول باختلاف العلاقات، وأنماط المعيشة، والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

ولو أخذنا الفن أداة للحكم على الحاجات الجمالية لوقتنا الحاضر لوجدنا أنها أصبحت بتغيرات جذرية؛ فالزائر الذي يتجوّل في متحف للفن الحديث إذا انتقل من قاعة تضم لوحات انطباعية إلى قاعة أخرى تضم لوحات حديثة من الفن التجريدي أو التجسيمي لاجتاحة، ولاريب، شعور بالانتقال من عالم إلى آخر، وإحساس بالغربة عميق.

إنَّ الانقلاب الكبير يستجيب لحركة ضرورية عميقة لا مفرّ منها. وهذه الحركة ولدت داخل الفن استجابة لعوامل التطور والميل الجارف إلى التجديد.

ولابد من الإشارة إلى أن حاجات الناس الجمالية كانت في جميع الأزمنة أكبر من حدود الفن، وأوسع من أن تشبعها آثاره. ولطالما بحثت تلك الحاجات عن كفايات لها عبر أشياء كالأسلحة والملابس والعربات والجيواد والأثاث مما لا يمكن أن يكون من أعمال الفن، والآثار الجميلة.

ولو تأملنا النظريات الجمالية لتكونت لدينا فكرة جوهرية مفادها أن الجمال يمثل نزوعاً إلى الكمال المتحرر في قليل أو كثير من قيود الوجود المادي، أو على الأقل الساعي إلى توحيد ظواهر الكون في مفهوم شامل متآلف العناصر.

لماذا نريد من إحساساتنا أن تتصل بكل ما هو جميل؟ فنختار من الطبيعة أيهـى أماكنها لقضاء العطل، ونزـين ماحولنا بمختلف فنون العمارة والديكور. ونزـين أنفسنا بالثياب والروائح الطيبة، وأحاديثنا بالأدب والشعر، ونضفي على أجواء عزالتنا مانختاره من أذبـ الألحان؟

هل هذا كلـه من أجمل البهجة التي يعطينا إياها الشعور بالجمال؟ وهل السعادة محصورة بجمال الروح والمكان الذي تقيم فيه؟ وهل يظهر الجمال إلا للمشاعر الحساسة ليداوي الرغبات إذا شوـشتها تدخلات الحياة، وقبح الجانب السيء من الوجود؟ الجمال دعوة للتأمل في المعطيات الفنية سواء تلك التي صنعتها الله بالطبيعة ومن جملتها الإنسان، أو تلك التي حاكـي فيها الإنسان صنعة ربـه.

هذه الدعوة إلى التأمل دعوة لإبهاج النفس، والاندفاع نحو الأمل.  
وفي كل أمل عنصر تحسين.  
وفي حدود الأفق الأخير للأمل يتحدّد مصير الإنسان.  
إنّ انجذابنا نحو الجمال هو الخطوة الأولى نحو مصيرنا!!

## الجميل في كتب اللغة

للجميل في كتب اللغة دلالتان:

أمّا الأولى فحسّية

وأمّا الثانية فمعنوية

إنَّ الجميل هو الشَّحْم يذاب ثُمَّ يُجْمِع، والجميل هو ضدُّ القبيح  
أيضاً<sup>(1)</sup>.

ويشير ابن قتيبة (ت 276هـ) إلى المناسبة بين الدلالتين بقوله:

«والجميل الوَدَك بعينه. ووصف الرجل به تُرَاد أَنَّ ماء السُّمْن يجري  
في وجهه»<sup>(2)</sup>. ويبدو أنَّ الدلالة الحسّية للفظة الجميل كانت قد بدأت  
بالتراجع في الشعر العربي منذ أيام الجاهلية الأخيرة تاركةً مواقعها  
للدلالات المعنوية.

لقد استعملها أبو خراش الهذلي بمعنى الوَدَك في قوله:

يقاتلُ جوعهم بِكُلَّاَتٍ

من الفُرْتَى يرعبها الجميل<sup>(3)</sup>

(1) - لسان العرب، وتأج العروس وجمهرة اللغة ص 110.

(2) - أدب الكاتب ص 83.

(3) - ديوان الهذلين 2/141 المكلّلات: الجفان المتلاعة - الفرتى: الخنزير الغليظ - يرعب: يملأ.

أما الدلالة المعنوية فتبدو أكثر دوراناً في أشعار القدماء.  
يذكر على سبيل المثال قول أبي خراش نفسه متذرأً إلى زوج أخيه  
المقتول عروة:

ولاتخسيبي أتني تناست عهده

ولكنْ صبري يا أميم جميلُ  
وقول ذي الإصبع العدوانِي مخاطباً ولده أسيداً:  
أسيدٌ إن مالاً ملكت فسر به سيراً جميلاً<sup>(1)</sup>:  
وقول عبد قيس بن خفاف ينصح ولده جبيلاً:  
ولإذا تشاجر في فؤادك مرة  
أمران فاعمد للأعفُ الأجمل<sup>(2)</sup>

(1) - ديوانه ص.72.

(2) - الأصمعيات ص.23

## بين الجميل والحسن

ليس الجمال بمئزر  
فاعلم وإن ردت يردا  
إن الجمال معادن  
ومناقب أورثن حمدا  
عمرو بن معد يكتب

وفي كتاب الأغاني القصة التالية:  
«قالت سكينة لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك». وقالت عائشة: بل أنا. فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة فقال: أمّا أنت يا سكينة فأملح منها. وأمّا أنت يا عائشة فأجمل منها. فقالت سكينة: قضيت لي والله<sup>(1)</sup>. تدلّنا هذه القصة على نوعين للحسن وهم الملاحة والجمال.  
وإذا أردنا أن نتفهّم معانٍ كُلٌّ من هذين النوعين وجدنا ذلك

(1) - ج 14 ص 162.

في أخبار هاتين السيدتين.

فقد جاء في الأغاني<sup>(1)</sup>:

«كانت سكينة عفيفة سلِّمة بربة من النساء تجالس الأجلة من قريش، ويجتمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحه. ويروى أنها كانت أحسن الناس شرارة، وكانت تصفّف جمّتها تصيفيماً لم يُرَ أحسن منه؛ حتى عرف ذلك وكانت تلك الجمّة تسمى السكينة».

وأمّا عائشة فكانت بديعة حقاً مثلاً في تناسب التكوين واعتدال الملامح، وانسجام الأعضاء كما يتصور الذوق العربي إذ ذاك.

ونجد في عيون الأخبار ما يؤكّد هذا التفسير.

قالت امرأة خالد بن صفوان له يوماً: ما أجملك!! قال: ماتقولين ذاك؟ وما لي عمود الجمال، ولا على رداوته، ولا برسنه.

قالت: ما عمود الجمال، وما رداوته، وما برسنه<sup>(2)</sup>

قال: أمّا عمود الجمال فطول القوم في قصر، وأمّا رداوته فالبياض ولست بأبيض.

وأمّا برسنه فسود الشعر وأنا أصلع. ولكن لو قلت: ما أحلاك!! وما أحلاك كان أولى.

وعدد ابن المقفع في «الأدب الصغير» أموراً لا تصلح إلّا بقراءتها

(1) - ج 2 ص 159.

(2) - الأغاني. ج 4 ص 21.

ومنها أنه «لainفع الجمال بغیر حلاوة»<sup>(1)</sup> وهذا يدل على أن الجمال غير الحلاوة، أو أنه بها يتّم نفعه ويكتمل رونقه.

وقد كتب الوزير الحافظ ابن حزم رسالة (في مداواة النّفوس، وتهذيب الأخلاق) جاء فيها:

«ورب جميل الصّفات على انفراد كل منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن، ولارائع، ولا حلّو».

---

(1) - رسائل البلغاء - ص28.



## **الفصل الثاني**

---

- معانٍ العين
- ثقافة العين وأهميتها
- أنواع النظر



## معانٰى العين

العين<sup>(١)</sup> حاسة البصر والرؤية. والجمع أعيُنْ وأعْيَنَاتِ الْأَخِيرَة جمع الجمع والكثير عيون، وتصغير العين ظُبْيَّة ومنه قيل ذو العيَّنتين للجاسوس.

والعَيْنُ: الذي يُبعث ليتجسس الخبر.

قال تعالى: ﴿وَلَتُصْنِعَ عَلَى عَيْنِي: لَتَرَى مِنْ حِيثُ أَرَاكُ﴾

وفي التنزيل:

«وَاصْنِعْ الْفَلَكَ بِأَعْيَنِنَا» يأبصارنا إليك، وعِينُ الله لا تُنَسِّرُ بأكثَر من ظاهِرها، ولا يسع أحداً أن يقول: كيف هي ماصفتها؟

والعَيْنُ: أن تصيب الإنسان بعين.

وعان الرجل يعيثه عيناً فهو عائن والمصاب معيَّنٌ على النقص ومغبون على التمام.

قال الرَّجَاجُ:

المَعْيَنُ: المصاب بالعين - والمَغْيُونُ الذي فيه عين:

قال عباس بن مرداس:

---

(١) - ابن منظور - لسان العرب، الجزء الثالث ص 301.

قد كان قومك يحسبونك سيداً

وأحال أنك سيد معيون

ورجل معيان وعيون شديد الإصابة بالعين والجمع عين وعين ويقال  
أيت فلاناً فما عين لي بشيء، وما عيّنني بشيء أي ما أعطاني شيئاً  
والعين والعاينة النظر. رأه عياناً: أي مواجهة.

وعيّنت الشيء: أبصرته. ورأيت عائنة من أصحابه: أي قوماً  
عائينوني. نعم الله بك عيناً: أي أنعمها.

العين: عظم سواد العين وستتها.

ويقال: أعين: إذا كان ضخم العين واسعها، والأثنى عيناء والجمع منها  
عين ومنه قيل لبقر الوحش عين صفة غالبة. قال تعالى (وَحُؤُزْ عَيْنٌ).

وفي الحديث: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِجَمِيعًا لِلْحُورِ الْعَيْنِ».

وعيون البقر: ضرب من العنب الأسود ليس بالحالك، ولا صادق  
الحلاوة؟

وثوبت معين: في وشيه ترابيع صغار تشبه بعيون البقر الوحشي.

فلان عين الجيش: رئيسه. الاعتبان: الارتباد.

وبعثنا عيناً: أي طليعة يعتانا ويعتان لنا أي يأتينا بالخبر.

العين: المخابرات.

أعيان القوم: أشرافهم وأفاضلهم على المثل بشرف العين الحاسة.

**العين:** عين الماء، وينبوع الماء الذي ينبع من الأرض. والجمع **أَعْيُنٌ** و**عَيْنُونَ**.

وفي الحديث: «**خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ**». أراد عين الماء التي تجري، ولا تقطع ليلاً ونهاراً، وعين صاحبها نائمة؛ فجعل السهر مثلاً لجريها.

**عَانَتِ الْبَشَرُ عَيْنَاهَا:** كثُرَ مَأْوَهَا.

**العَيْنُ:** الجديد - **العَيْنُ:** الناحية.

**عَيْنُ الشَّمْسِ:** شعاعها الذي لا تثبت عليه العين.

**العَيْنُ:** المال الحاضر - النقد.

**وَالْعَيْنُ:** في الميزان الميل: قيل هو أن ترجح إحدى كفتته على الأخرى.

يقال: ما في الميزان عَيْنٌ (أي ميل).

**وَعَيْنُ الشَّيْءِ:** حقيقته.

جاء الحق بعينه: أي خالصاً واضحاً.

**وَعَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ:** خياره، ونفسه، وحاضرها، وشاهده.

لا أطلب أثراً بعد عَيْنٍ: أي معاييره.

لا أترك الشيء وأنا أعاينه، وأطلب أثراً بعد أن يغيب عنـي. أصلـه أنـ

رجلًا رأى قاتل أخيه، فلما أراد قتله قال:  
أفتدي بعائمة ناقة فقال: لست أطلب أثراً بعد عين. وقتلها.  
الأعيان: الإخوة يكونون لأب وأم ولهم أخوة لعَلَّات فعلت ذلك  
عَمَدَ عين: إذا تعمَّدْته بجلي وتعَيَّن.

## ثقافة العين وأهميتها

إن للعيون لغة خاصة<sup>(1)</sup> ومن يفهمها يدرك علماً كثيراً في وقت قصير، ويفتح عينيه على آفاق جديدة من ثقافة العين وتربيتها.

فالماناظر الطبيعية، والألوان المنسجمة، والوجوه الجميلة ثقافة بصيرية ممتعة يمكن تعليمها للأطفال قبل بلوغهم مرحلة الكلام؛ لأن ذلك يكون لهم إحساسات جمالية مبكرة، ويريحهم في مهودهم؛ فينشرحون للحياة، ويتدوّقونها بعيونهم وهم صامتون.

واللغة المرئية تدرب العيون على الرؤية والتمييز فإذا كبر الصغار ظلت لهم دربهم قوة تحمي العيون إلى آخر العمر سليمة نفادة.

يركز الطفل في حضن الأم ساعات وهي تحنو عليه بدهنهما وحنانها، تبادله النظرة والابتسامة.

إن تربية العيون تعطي صاحبها ثروة من الحب والجمال تفوق كثيراً ما يكسبه عن طريق سواهما.

الحواس جميعها مهمة في حياة الإنسان؛ غير أنك بنظرة واحدة من عين مثقفة جميلة تقرأ ما لا يقرأ في كتب عديدة خصوصاً إذا كانت العين الأخرى ذات ثقافة علياً من المستوى ذاته.

(1) - أسعد علي - مسرح الجمال والحب والفن، ص 157 - 158.

وقد فطن الشعرا إلى ماتقرّره العيون من العلاقات الاجتماعية فقال  
قائلهم:

والعين تعرف من عيني محدثها

إن كان من حزبها أو من أعاديها

ولو تأملَ الإنسان في عينيه، والمقدرة التي أودعها الله فيهما لتعلم  
أموراً كثيرة؛ فالعين يرتفع الإنسان إلى السماء بلمحة.

ولو فكرَ بذلك لعرف أنَّ عينيه تدللانه على طريق المقدرة فيه،  
وتلهماه الطموح ليدرك الأبعاد المديدة في وقت قصير.

في سورة طه الآية (39) «وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على  
عيني».

يصنع الله عبده ورسوله على عينيه؛ أي يربّيه محفوفاً بعنايته  
وحفظه وإكرامه. وجمال التصوير في الجمع بين المنظر الحسي والمنظر  
النفسي.

فالعين محفوفة بالأجفان والأهداب والحواجب لأنّها حساسة وأثيرة  
وعليها تقوم الصناعة التربوية.

هنا إشارتان:

**الأولى:** تعني أنَّ من نريهم لهم علينا حق الرعاية والحفظ كما  
لعيوننا.

وفي ملاحظة التكوين الجمالي للعيون ندرك آية رعاية إلهية أحاطت

بالعين فكؤّتها من طبقات، وغطّتها بأجفان، وظللت الأجفان بأهداب، ورفعت فوقها ستار الحاجبين.

الثانية: تعني أنَّ الإنسان الذي ترثِّيه مثل العين سريع العطب. وهذا الإنسان مثل العين قدرة خارقة إذا زُعِيت تنطلق في الأبعاد، وتدرك ما في الآفاق، وتضيء ما في النفس.

هذا سُرُّ المنهج العيني الذي يحمل العشاق على القول: «أحببته من أول نظرة».

العين والعون صديقان.

والنفوس المتعطشة للحب تجد في العين ينبع حنان ومحبة فتلقي ذاتها إليه لترتوي من الظماء.

وفي ظلال العينين يتعلّم الإنسان معنى الحب، وتبسط الأزاهير أيديها للنسيم، ويرقص العشب على إيقاع الندى، وتكتب الأغصان أناشيد الطيور، وألحان الحياة.

## أنواع النظر

وللناظر أنواع<sup>(1)</sup>: فإذا نظر الإنسان إلى شيء يجتمع عينيه قيل: رمقه وإذا نظر من جانب أذنه قيل: لحظه. فإن نظر بعجلة قيل: لمحه. فإن رماه ببصره مع حدة قيل: حدجه.

وفي حديث ابن مسعود «حدث القوم ما حذجوك بأبصارهم» فإن نظر إليه بشدة وبحدة قيل: أرشقه، وأسف النظر. إليه فإن فتح عينيه لشدة النظر قيل: حدق. وإن اتقلب حملق عينيه قيل: حملق. فإن أغاره لحظ العداوة قيل: نظر إليه شراراً. وإن نظر إليه بعين الحبة قيل: نظر إليه نظرة ذي علق. وإن فتح عين مهدد قيل: حمج، وإن فتح عينيه لا يطرف قيل: شخص والإشارة<sup>(2)</sup> بمئخرة العين الواحدة نهي عن الأمر، وتفثيرها إعلان بالقبول، وإدامة نظرها دليلاً على الترجح والتأسف. وكسر نظرها آية الفرح. والإشارة إلى إطباقها دليلاً على التهديد، وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تبيه على مشار إليه. وإذا تهيأ الرجل للبكاء قيل: أجهش. فإن امتلأت عينه دموعاً قيل: اغزورقت، وترقرقت. فإذا سالت قيل: دمقت، فإذا صاح مع البكاء قيل: أعوا. فإذا حاكت دموعها المطر قيل: همت فإذا كان البكاء صوتاً قيل: نحب ونشج.

(1) - أبو منصور الثعالبي - فقه اللغة وسر العربية - ص 123 - 125.

(2) - ابن حزم الأندلسي - طوق الحمام - ص 136.

يقول الوليد بن يزيد:

مازلت أرمقها بعيني وامي

حتى بصرت بها تقبّل عودا

فسألت ربي أن أكون مكانه

وأكون في لهب الجحيم وقدرا

وسمع ابراهيم بن المهدى غناء جارية<sup>(1)</sup>:

أشرت إليها هل عرفت موذني؟

فردت بطرف العين إني على العهد

فيجدت عن الإظهار عمداً لسرّها

وحادت عن الإظهار أيضاً على عمد

- أليس عجيباً أنَّ بيتأ يضمُّني

وإياك لانخلو ولا نتكلّم

سوَيْ أعين يشكوا الهوى بجهونها

وتقطيع أنفاس على النار تضرم

إشارةً أفواه وغمز حواجب

وتكسير أجفان وكف يسلُّم

وقد أورد أبو حاتم<sup>(2)</sup> عن الأصممي عن يونس بن مصعب قال: أتاني

---

(1) - ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج 3 - ص 201.

(2) - ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج 7 - ص 97.

رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت: يا ابن أخي:  
أقصيرة النسب أم طولاته؟ فلم يفهم عني.

قلت: يا ابن أخي: إني أعرف في العين إذا عرفت، وأنكر فيها إذا  
أنكرت، وأعرف فيها إذا لم تعرف، ولم تنكر. أما إذا عرفت  
فتتحاوص، وأمّا إذا أنكرت فتجحظ، وأمّا إذا لم تعرف ولم تنكر  
فتسجو؛ وقد رأيت عينك ساجية. فالقصيرة النسب هي التي إذا ذكرت  
أباها اكتفت به. والطويلة النسب هي التي لا تُعرف حتى تطيل في  
نسبتها. فإذاً أن تقع في قوم قد أصابوا كثيراً من الدنيا مع دناءة فيهم  
فتضيع نفسك فيهم.

ويقال: إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فآية ذلك أن تكون عند  
قربه منها مرتدة النظر عنه كأنما تنظر إلى إنسان وراءه. وإذا كانت محببة  
له لا تقطع عن النظر إليه.

قال المبرد: أردت أن أعلم كيف حالي عند امرأتي، فالتفت وقد  
نهضت من بين يديها فإذا هي تكلج في قفayı أي (تكشر في عبوس).  
وإدمان النظر من علامات الحب. فالعين باب النفس وهي المنقبة عن  
سرائرها، والمعبرة عن ضمائرها. وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب  
من نظرة واحدة.

فالشاعر يوسف بن هارون<sup>(1)</sup> كان مجتازاً عند باب العطارين  
بقرطبة. وهذا الموضع كان مجتمع النساء. فرأى جاريةً أخذت بمجامع  
قلبه، وتخلل حبها جميع أعضائه. فانصرف عن طريق الجامع، وجعل

(1) - ابن حزم الأندلسي - طرق الحمام - ص 122 - 123

يتبعها، فلما نظرت منه منفرداً عن الناس لاهمة له غيرها انصرفت إليه وقالت: مالك تمشي ورائي؟ فأخبرها بعظام بيته بها. فقالت له: دع عنك هذا، ولا تطلب فضيحتي فلا مطمح لك في بيته، ولا إلى ماترغبه سبيل. فقال: إني أقنع بالنظر. فقالت: ذلك مباح لك. فقال لها: ياسيدي آخرة أم ملوكة؟ قالت ملوكة، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: خلوة، قال ولمن أنت؟ قالت له: علمك والله بما في السماء السابعة أقرب إليك مما سألت عنه، فدع الحال، فقال لها: ياسيدي، وأين أراك بعد هذا؟ قالت: حيث رأيتك اليوم في مثل تلك الساعة من كل جماعة.

قال يوسف بن هارون: ولم أرها بعد ذلك، ولا أدرى أسماء حسنهما، أم أرض بلعثها. وإن في قلبي منها لأحر من الجمر.

ويقول ابن حزم الأندلسي في كتابه «طرق الحمام» فمن أحب من نظرة واحدة وأسرع العلاقة من لحظة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر، ومخبر بسرعة السلوك وهكذا في جميع الأشياء: أسرعها نمواً أسرعها فناء، وأبطؤها حدوثاً أبطؤها نفاذًا. ثم يتتابع قائلاً: وإنني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يُحب من نظرة واحدة، ولا أكاد أصدقه ولا أجعل حبه إلا ضرباً من الشهوة.

وقد أنسد ابن حزم فيمن أحس من نفسه بابتداء هوى، أو توّجس من استحسانه ميلاً إلى بعض الصور فاستعمل الهجر، وترك الإمام، لفلا يزيد ما يجد فيخرج الأمر عن يده<sup>(1)</sup>:

---

(1) - ابن حزم الأندلسي - طرق الحمام - ص 125

سأبعد عن دواعي الحب إني  
رأيت الحزم من صفة الرشيد  
رأيت الحب أوله التصدّي  
بعينك في أزاهير المخدود  
فبینا أنت مغتبط مخلّى  
إذا قد صرت في حلّي القيود  
كمُغتَرِ بضمْضاجِ قرَبٍ  
فزلَ فغاب في غمْرِ المدُود

ويرى ابن حزم الأندلسي، أنَّ جوهر العين أرفع الجواهر، وأعلاها  
مكاناً، لأنَّها نورية لأنَّها تدرك الألوان بسوها، ولا شيء أبعد مر梅 ولا أدنى  
غاية منها، لأنَّها تدرك بها أجرام الكواكب التي في الأفلاك البعيدة.

وثير بها السماء على شدة ارتفاعها وبعدها. وليس ذلك إلَّا  
لاتصالها في طبع خلقتها بهذه المرأة، فهي تدركها وتنصل إليها بالصغر.  
لاعلى قطع الأماكن، والخلول في الموضع، وتنقل الحركات، وليس هذا  
الشيء من الحواس مثل الذوق واللمس لا يدرك كأنَّه بالمجاورة، والسمع  
والشم لا يدرك كأنَّه من قريب.

ويوضح أنَّ العين تنوب عن الرسول، ويُدرك بها المراد.  
فالحواس الأربع أبواب إلى القلب، ومنفذ نحو النفس.  
والعين أبلغها دلالة، وأوفاها عملاً.

وهي رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوقة التي بها

تفق على الحقائق وتميّز الصفات، وتفهم المحسوسات.

وقد قيل: ليس الخبر كالمعاين.

ولأبي علي بصير قوله في النظر الخلس، والحب الصامت<sup>(1)</sup>:

أَلْتَ بِنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ اخْتِلَاسَةً

فَأَضْرَمْ نَبْرَانَ الْهَوَى النَّظَرَ الْخَلْسَ

فَخَاطَبَهَا صَمْتِي بِمَا أَنَا مُضْمِرٌ

وَأَبْسَثْتُ حَتَّى لَيْسَ يُسْمَعُ لِي حُسْنٌ

أَمَّا العباس بن الأحنف باعث العذرية الأموية في عصربني العباس

فيتساءل كيف يخفى سره إذا غض طرفه عن النظر إلى وجه الحبيبة؟

مادامت الدموع تجري فتبوح بالسرائر.

هبوئي أغض إذا مابدت

وأملك طرفي فلا أنظر

فكيف استتاري إذا مالدمو

غُ نطقن فبحن بما أضمِرُ

ويرى الشاعر خالد الكاتب أن العين ظالمة لا تعرف العدل<sup>(2)</sup>:

نظرت إلىَّ بعين من لم يعدلِ

لما تمكَّن طرفها من مقتلي

(1) - ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ص.337.

(2) - زهر الآداب - ج 2 - ص.239.

لما رأت شيباً ألمَ بمنفقي  
صلَّت حدود مفارقِي متَّعِّجلَ  
وطللت أطلب وصلها بتملقي  
والشيب يغمزها بألا تفعلي

## **الفصل الثالث**

---

- محسن العين
- أوصاف العيون الجميلة:
  - الفتور
  - العيون الكحلية الساحرة
  - العين الحوراء
  - العين الزرقاء
  - العين الخضراء



### محاسن العين<sup>(١)</sup>

**الفتور:** انكسار النظر فيه تبدو العين كأنّها ناعسة وكأنّها مريضة وليس بها مرض.

**الدَّعْج:** أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة.

**البَرْج:** شدّة سوادها وشدّة بياضها.

**النَّجْل:** سعتها.

**الكَحْل:** سواد جفونها من غير كحّل.

**الحَوَّر:** اتساع سوادها.

**الوَطْف:** طول أشفارها وتمامها.

**ورجل ملوّز العين:** إذا كانتا في شكل اللوزتين.

**واستحسن بعضهم في العين القَبْلَ:** وهو ميل الحلقه في النظر إلى الأنف.

---

(١) - أبو منصور الثعالبي - فقه اللغة وسرّ العربية - ص 121.

## أوصاف العيون الجميلة

اعتمد الشعراء العرب في وصفهم العيون الجميلة على التشبيه والمقاربة، وأعربوا<sup>(1)</sup> عن رقة شعورهم، وإحساساتهم بالجمال بلغة عذب جرسها، حلوة ألفاظها.

ومن العسير على الإنسان مهما أöttى من عنوية اللفظ وروعة البيان، وقوة البلاغة أن يصف بكلمات محدودة جمالاً صنعه الخالق، وأن يعبر بقلمه القاصر عن معانٍ ساحرة رسمتها يد القدر على لحاظ العيون. في حركات المقلة والجفون واللحاظ تأثير كبير على جمال العينين.

والعينان هما أكثر أعضاء الإنسان حركة، وحركاتها الدائبة لا تتخذ لوناً رتيباً خفياً كدقائق القلب. بل إنَّ كُلَّ ما في العين يتحرك وبشكل مختلف. الجفون تخلج، والأهداب ترتعش، والمقلة تدور، والحواجب تعلو وتهبط، وإنسان العين يضيق ويتوسّع، وعدسة العين داخل المقلة تنقبض وتتبسط. وكثير من هذه الحركات الظاهرة لها أثر ودلالة، ومعنى في رموز الوجودان تعبر عن المعاني المستترة في أعماق النفوس.

فمن أوصاف العين المستحسنة الفتور، وهو انكسار النظر وذبوله في أصل الخلقة. وهو معنى وصفهم العين بالمرض والسم. حلوة الحركة

(1) - الدكتور عبد الرحمن البابا - في أدب وطب العيون - ص 17.

في العين تكمن في الفتور، وغض البصر، وسحر اللحاظ. والفتور في عين المرأة هو إسبال لطيف بجفونها، وهو نوع من الدلّ والغنج يضفي على عينيها جمالاً فوق جمال.

قال ابن ميادة:

ونظرن من خلل الستور بأعينِ  
مرضى يخاطها السقام صحاحِ  
وقال عبد الله بن جندي<sup>(1)</sup>:  
ألا يعبد الله هذا أخوكمُ  
قتيلٌ فهل فيكم اليوم ثائرٌ  
خذلوا بدمي إن مث كلّ خريدةِ  
مريضة جفن العين والطرف ساحرٌ  
وقد نسب إلى معاوية قوله في جارية عرضت له في قصره فارتع  
لجمالها فدعاهما واقترعها بكرأ ثم قال وكان قد ترك الشعر:  
سئمت غوايتي فأرحت حلمي  
وفيَ على تحملِي اعتراض<sup>(2)</sup>  
على أنني أجيب إذا دعتني  
ذوات الدلّ والحمد المراض

(1) - محمد بن أحمد التجاني - تحفة العروس ومتعة النفوس، ص 283.

(2) - زهر الأدب - ج 1 - ص 91.

وقال أبو نواس<sup>(1)</sup>:

ضعفٌ كثُر لحظٍ تحسب أنها

قريبة عهد بالإفادة من سقم

هذا الذبوب والفتور يستحسن أبو نواس بقوله:

لولا فتور في كلامك يشتهي

وترفقٌ بك بعد واستسلامٌ

وتكرّر في مقلتيك هو الذي

عطف الفؤاد عليك بعد جماح

لعلت أنك لاتمازح شاعراً

في ساعة ليست بجبن مزاح

وقد شبّه ابن المعتر<sup>(2)</sup> بالنرجس حين قال:

وسنان قد طرق النعاس جفونه

فحكى بمقته ذبول النرجس

وتكرّر في أبياته لفظة الضعف:

قد صاد قلبي قمرٌ يسحر منه النظر

ضعفٌ أجهانه والقلب منه حجر

كأنما الحاظه من فعله تعذر

(1) - تحقيق أحمد عبد المجد الغزالي - القاهرة - ص 542.

(2) - علي أحمد أدونيس - ديوان الشعر العربي.

لم أر وجهًا مثل ذا      بما عليه بشر  
وهو الذي يقول<sup>(1)</sup>:  
عليم بما تحت العيون من الهوى  
سريع بكسر اللحظ والقلب جازع  
فيحرج أحشائي بعين مريضة  
كما لان متن السيف والحد قاطع  
وهذه العين المريضة تدعوا إلى الهايا على حد تعبير عمر بن أبي ربيعة<sup>(2)</sup>:  
ولكن دعت للحين عين مريضة  
فطاوتها عمداً كأنك حالم  
نظرت إليك بقلتي يغوره  
نظر الريب الشادن الوسنان<sup>(3)</sup>  
كما قال أحدهم:  
لقد فتكت عيون الغيد فيما  
ببيض مرهفات وهي سود  
وتطعنتا القدود إذا التقينا  
بسحرٍ من أستئتها النهود

(1) - الأ بشيبي - المستطرف من كل فن مستطرف - ص 406

(2) - ديوان عمر بن أبي ربيعة ت ص 210.

(3) المرجع نفسه - ص 271.

وقد ورد في كتاب الوساطة بين المتبني وخصومه لأبي الحسن  
الجرجاني قوله:

«وقد علمت أن الشعرا قد تداولوا ذكر عيون الجاذر، ونواطر  
الغزلان حتى إنك لاتكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا في  
النادر، ومتي جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس:

تصدُّ وتبدي عن أسليل وتنقِّي  
بناظرة من وحش وجرة مُطفل

أو قابله بقول عدي بن الرقاع:

وكأنها بين النساء أغارها  
عينيه أحور من جاذر جاسم

«رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قريهما منه والمعنى  
واحد وكلاهما خالٍ من الصنعة، بعيد عن البديع إلا ما حسن به من  
الاستعارة اللطيفة التي كسته هذه البهجة».

وأما ماتم به عدي الوصف بقوله على إثر هذا البيت:

وسنان أيقظه النعاس فرنقت

في عينه سنة وليس بنائم

«فقد زاد به على كلٍّ من تقدم، وسبق بفضله جميع من تأخر؛ ولو  
قلت اقطع هذا المعنى فصار له، وحضر على الشعرا أدّعاء الشرك فيه لم

أرني بعدت عن الحق، ولا جانت الصدق»<sup>(1)</sup>.

### الفتور:

ويعرف ابن الرومي<sup>(2)</sup> الفتور في العينين بأنه فتور غنج لافتور نعاس:

يسبي العقول بمقلة مكحولة

بفتور غنج لافتور نعاس

قال الأصمسي<sup>(3)</sup>: ما وصف أحد العيون به مثل ما وصف به عدي  
الرقاء العاملية في قوله:

فكانها دون النساء أغارها

عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت

في عينه سنة وليس بنائم

يصطاد يقطان الرجال حديثها

وتطير بهجتها بروح الحال

وجاء في القصيدة اليتيمة:

وتخالها وسنى إذا نظرت

أو مدفأً لما يفق بعد

(1) - سيد قطب - النقد الأدبي «أصوله ومناهجه».

(2) - الدكتور عبد الرحمن الباب - في أدب وطبع العيون - ص39.

(3) - أدونيس - ديوان الشعر العربي - ص388.

بفتور عين مابها رمد  
وبها تداوى الأعين الرمد  
وغض البصر هو شأن المرأة الحرة التي تتميز بالخفر والحياء.  
يقول خالد بن صفوان:  
جيداء في حور وسني على خفر  
شماء في بهر من خير نسوان  
وقال عبد الله بن المعتز: أنسدني أبو سهل اسماعيل بن علي لأبي  
الصواعق قال:  
ومريض طرف ليس يصرف طرفه  
نحو المدى إلا رماه بحثته  
ظبي له نظر ضعيف كلما  
قصد القوي أتى عليه بضعفه  
وهاهو البحترى<sup>(1)</sup> يفدي بنفسه ذلك الغزال الذي تعلق به قلبه  
لجمال لحظه وفتوره:  
بأبي شادن تعلق قلبي  
بجفون فواتر اللحظ مرضى  
لست أنساها بادياً من قريب  
يتثنئ ثبني الغصن غضاً

(1) - ديوان البحترى - ص23.

أيها العاتب الذي ليس يرضي  
نم هنيئاً فلست أطعم غمضاً

و قريب من هذا المعنى قوله:

تبسم عن واضح ذي أثر

وتنتظر من فاتر ذي حور<sup>(1)</sup>

وما يبدد لب الخليم

حسن القوم وفتر النظر

ومن أجمل ماقاله في محبوته علوة التي عاشت في مدينة حلب  
بعيدة عنه، بخيلة بالوصال يقترب منها فتبعد في الهوى.

وقد لعب الوشاة دورهم إلى جانب العذال في محاولات إضعاف  
العلاقة بينهما يقول<sup>(2)</sup>:

عرّج على حلب فحبي محلّة

مانوسة فيها لعلة منزل

لغريبة أدنو وتبعد في الهوى

وأجود بالولد المصنون وتبخل

وعليلة الألحاظ ناعمة الصبا

غري الوشاة بها ولئ العذل

---

(1) - ديوان البحترى - ص.97.

(2) - ديوان البحترى - ص.25.

وأعز ثم أذل ذلة عاشق  
والحب فيه تعز وتنسل

ويشير الشاعر أحمد شوقي إلى مافعلته الأعين الفاترات بالحظها  
المريضة في القلوب الصحيحة بقوله<sup>(1)</sup>:

أداري العيون الفاترات السواجيا  
وأشكوا إليها كيد إنسانها ليا  
قتلن ومنين القتيل بأسن  
من السحر يبدل المنايا أمانيا  
وكلمن بالألحاظ مرضى كليلة  
فكانت صحاحا في القلوب مواضيا

كما بين المتibi قبله أن هذه المرأة التي نظرت إليه قتله بنظرها وليس  
تدري أنها باعهت ياثم قتلها، وأن دمه في عنقها:

إن التي سفكت دمي بجفونها  
لم تدر أن دمي الذي تتقلد<sup>(2)</sup>  
أبرحت يا مرض الجفون بمرض  
مرض الطبيب له وعيد العود

(1) - الشوقيات ت ص 142.

(2) - ديوان المتibi - ص 32.

لقد أُبرح به حبه لذلك الجفن المريض، إلى حد كبير تجاوزه إلى طبيبه الذي مرض، وعيده عوده رحمة له.

### العيون الكحيلة الساحرة:

في حياة المجتمع الجاهلي، في البوادي والخواضر تقريباً يوشك أن يكون مفهوم الجمال متمثلاً بالمرأة، متركتزاً فيها. فالجاهلي لا يجد في حياته الضيقه تعبيراً عن حسّ الجمال إلا في هذا الجمال الأنثوي.

فالمرأة هي جماع مظاهر الجمال وصوره؛ لذلك تكاد تكون محور اهتماماته النفسية، ووباته العاطفية.

إنَّ الجمال إنما يتحقق في إشراق وجهها، وطول جيدها واعتداٍ قامتها.

فحياة الشعراء الجاهليين تميزت بالإرهاف والحساسية؛ ولذلك ركزوا على الوصف الذي يتمثل في بعض مظاهره بالتشبيه الحسي المستمد من الحياة التي كان يحياها الجاهليون، ورقة الحياة الداخلية التي كانت تنطوي عليها نفوسهم.

في الرقة يبدو الإحساس، وفي الخشونة تبدو الصورة التي تعكس هذا الإحساس.

فعند امرئ القيس<sup>(1)</sup> نلاحظ أنَّ الشاعر يفضل في وصف مفاتن محبوبته بوضوح وجرأة، وقصد. ونلمح إحساسه الدقيق بكلٍّ مافي

---

(1) - د. شكري فیصل - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام - ص 141.

نظرة صاحبته من عطف وحنان وجمال وعمق، ونجد تأثره بذلك، واستجابت له، وتفاعل معه.

ولكنا حين نشد التعبير عن هذه العين الجميلة الواسعة، وهذه النظرة العميقية النافذة، وهذا الحنان الذي يفيض عنها لأنجد عند الشاعر غير نظرة بقرة وحشية طفل من وحش وجرا.

تصدُّ وتبدي عن أسليل وتنقي

بناظرة من وحش وجرا طفل

(المعنى: إذا أعرضت ظهر خدها الأسليل المتد، وجعلت بيني وبينها عيناً ناظرة تشبه عيون وحش وجرا - البيت وصف لجمال خدها وحسن عينيها اللتين تشبهان عيون الظباء. وجعل الظباء طفلة لأن نظرتها إلى أولادها يخالطها الحب والعطف. فهي في تلك الحالة خير منها في أية حال أخرى).

ومثل ذلك فعل النابغة الذبياني حين عرض لنظرة صاحبته حيث عبر عن فيض غامر من الأحساس الموحية اليقظة التي وصلت بينه وبينها. إنها تصبي الراهب الذي يجد فيها كل شيء ينشده في دنياه يرى فيها الرشد وإن لم يرشد<sup>(1)</sup>:

نظرت بقلة شادين متربي

أحوى أحمر المقلتين مقلاً

نظرت إليك بحاجة لم تقضها

(1) - د. شكري فیصل - تطور الفرزل بين الجاهلية والإسلام - ص 144.

نظر السقيم إلى وجوه العَوْد

لو أنّها عرضت لأشسط راهبٍ

يخشى الإله صرورة متعبّدٍ

لرنا ليهجتها وحسن حديثها

ولحاله رشدًا وإن لم يرشد

«الشادن: الظبي الذي استغنى عن أمه، المترّبب: المرئي: أحوى الشفتين: من الحَوَّة وهي حمرة يعلوها سواد. أحّم: شديد السواد. مقلّد: طُوق جيدة بالحلّى.»

يقول الشاعر:

«إنّها تنظر بعيني غزال، وإنّها حَوَّاء الشفتين، سوداء المقلتين، مقلّدة الجيد». .

ويقول طرفة بن العبد<sup>(1)</sup>:

وفي الحي أحوى ينفض المزد شادن

مظاهر سِمْطَيْن لؤلؤ وزبرجد

ينفض: يعطوا يدُّ عنقه ليتناول ثمر الأراك. المزد: ثمر الأراك. المُظاهِر: الذي لبس ثوباً فوق ثوب أو عقداً فوق عقد. السِّمْط: الخيط الذي نظمت فيه الجواهر.

- يشبه الظبي حين يدُّ عنقه ليتناول ثمر الأراك، يعني أنه طويل

(1) - د. شكري فيصل - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام - ص 149.

العنق، وقد تخلّى هذا الحبيب بعقدين من لؤلؤ وزبرجد. شبهه بالظبي في ثلاثة أشياء في كحل العينين وحّة الشفتين وحسن الجيد».

ويقول الأعشى<sup>(1)</sup>:

مبتلة هيفاء رؤذ شبابها  
لها مقلتا ريم وأسود فاحم  
وينسب إلى امرئ القيس قوله<sup>(2)</sup>:  
لها مقلة لو أنّها نظرت بها  
إلى راهب قد صام لله وابتهل  
لأصبح مفتوناً معنى بحبّها  
كان لم يصم لله يوماً ولم يصل  
إلى قوله:

حجازية العينين مكية الحشا  
عراقية الأطراف، رومية الكفل

ويتغنىّ الشاعر الماجاهلي سويد بن أبي كاهل اليشكري بطرف محبوبته الساجي الفاتر، وعينيها الكحلاوين الحاليتين من أي عيب<sup>(3)</sup>.

(1) - ديوان الأعشى - ص.77.

(2) - ديوان امرئ القيس - ص.188.

(3) - الخطيب البريري: شرح اخبارات المنضل - ص.870.

تنح المرأة وجهًا واضحًا

مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع

صافي اللون، وطوفاً ساجياً

أكحل العينين مافيه قمع

أمّا الشاعر كعب بن زهير فيصف محبيته أيضًا بسود العين وذبول  
الطرف في قصيده المشهورة<sup>(1)</sup>:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم عندها لم يجز مكبور

وماسعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا أغنٌ غضيض الطرف مكحول

أمّا الشاعر الصوفي المتتجنب العاني فيرى الليل صباحًا ويتابه  
شعور بالسعادة الخالصة؛ لأنّ المحبوب ابتسم له عن أسنان يضاء  
كالأقاهي، فتدفق دم النشاط في وجهه الذي اصطبغ بياضه  
بالحمرة. ويحاول الشاعر العبث بقطف التفاح من الوجنتين، فيدافع  
الحبيب عن ثماره بنظرية أفضل مما تثيره السيفون المشرفة، كما أنه  
يرسم صورتين حسيتين تمثّلان المحبوب بنظرته الرشيقه، وقدّه  
الممشوق حيث يقول<sup>(2)</sup>:

(1) - أبو الفرج الأصفهاني «الأغاني» ج 15 - ص 147.

(2) - د. أسعد علي - فن المتتجنب العاني - ص 269.

إذا روضها كأنه جنان  
ترتع فيه الحور والولدان  
من كل أحوى طرفه فتّان  
صاح ومن خمر الصبا نشوان  
رنا طلى واهتز سمهريا<sup>(1)</sup>  
وبث أرى ليلي بها صباحا  
وثغره أبدى لي الأقاها  
فأنبئت وجنته تفاحا  
فحين رمت قطفها مزاحا

سلٌ على اللحظة مشرفيا  
من الملاحظ أنَّ الشعراً في العصر الجاهلي حدثونا عن مظاهر  
الجمال وعن وقوعه على سمعهم وأبصارهم، وحواسهم ولكنهم لم  
يحدثونا عن أثر هذا الجمال في نفوسهم ولم يلتفتوا إلى وصف ماتركه  
من أصداء واهتزازات.

فالمعاني التي تعاقبوا عليها في الحديث عن مفاتن أحبتهم ووصفهم  
لها متقاربة تشتراك في الصورة الخارجية. وإنَّ الكثرة الكثيرة منهم لم  
يتجاوزوا الحديث عن محاسن الخلة إلى محاسن الخلق، ولم يتعدُّوا  
جمال الصورة إلى جمال النفس.

وإذا تجاوزنا العصر الجاهلي إلى ماتلاه من عصور لاحظنا أنَّ الذوق

(2) الطلي ولد الطيبة - السمهري: الرمح الطويل الصلب.

العربي الأصيل بقي ينكر التكحّل لتجميل العيون ويفتن بالعين الكحلاء الطبيعية البعيدة عن الجمال المصطنع. وفي اللغة العربية أمثل شعبية عن الكحل منها:

- أراد أن يكحّلها فعمها.
- يسرق الكحل من العين.
- ليت كحلها يسدُّ عينها.
- جبال الكحل تخليها المرادون.

ولقد كان شاعرنا المتنبي معجبًا بالجمال البدوي الطبيعي الذي لا يعرف التكلف والتطرية، حيث قال:

ما أوجه الحضر المستحسنات به  
كأوجه البدويات الرعابيب  
حسن الحضارة مغلوب بتطرية  
وفي البداوة حسن غير مغلوب  
أفدي ظباء فلاة ماعرفن بها  
مضخ الكلام، ولا صبح الحواجيب

ويقول البوصيري:  
قل للذين تكلفوا زيَّ الثُّقى  
وتخيّروا للدرس ألف مجلد

لاتحسدوا كحل الجفون بزينة  
إن المها لم تكتحل بالإثم  
ويقول ابن هانئ الأندلسي:  
فتكات لحظك أم سيف أليك  
وكؤوس خمر أم مراشف فيك  
حسبوا التكحل في جفونك حلية  
تالله ما بأكفهم كحلوك  
وقال الأبيوردي:  
رمتي بسهم راسه الكحل بالردى  
وأقتل لحاظ الملاح كحيلها  
وقد ذم أعرابي امرأته فقال:  
ولاستطيع الكحل من ضيق عينيها  
فإن عالمته صار فوق الحاجز  
ويقول الشاعر في العين الكحلاع:  
كأنهما مكحولتان بإثمد  
ومابهما غير الملاحة من كحل  
ولنستمع إلى أمير الشعراء شوقي<sup>(1)</sup> وما فهمه من لغة العيون السود

(1) - أحمد شوقي - الشوقيات الجزء الثاني - ص 150.

عندما تعطلت اللغة المسموعة:  
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت  
عيني في لغة الهوى عيناك  
وها هو في لبنان في بلدة «بكسفية» يصيده سحر الجفون فيقول:  
السحر من سود العين لقيته  
والبابلي بلحظهن سقيته  
الفاترات وما فترن رمادية  
بسيدٌ بين الضلوع مبيته  
الناعسات الموقظاتي للهوى  
المغريات به وكانت سليته  
الشارعات الهدب أمثال القنا  
يحيي الطعين بنظرة ويبيته  
وأعن أكحل من مها بكسفية  
علقت محاجره دمي وعلقته  
قد جاء من سحر الجفون فصادني  
وأتيت من سحر البيان فصدقته  
فمشى إلي وليس أول جؤذر  
وأقيمت عليه حبائي فقنصته

العين رمز، ومصدر فتنة وسحر. اتخد منها الفراعنة رمزاً لوحدة مصر القديمة واستمرار الحياة، ورمزاً دينياً للعودة إلى الحياة بعد الموت، وللصحة بعد المرض، حيث تقول الأسطورة إن عين أوروس اقلعها «سات» ثم أعادها «طوط» كما كانوا يعتقدونها تميمة تحمي من أمراض العين ثم من جميع الأمراض.

واتخذ المغنون العرب من العين نغماً شجياً يهتفون بها في الليل متصدراً الآهات والمواويل.

واتخذ منها عامة الشعب في معظم البلاد العربية تميمة باللون الأزرق لتحميهم من حسد العيون.

واتخذ منها الشعراء العرب أداة شعرية ورمزاً للمرأة كلها بشكل عام فخاطبوا المرأة بعينها.

فالعين الساحرة تفتن الرجال؛ فلا ينجو من شراكها إنسان. يخضع لها الملوك والحكام، تؤثر على ميزان العدل والقضاء إذ تستميل بسحرها قلوب القضاة.

يقول المستعين بالله:

عجبأً يهاب الليث حد ساني

وأهاب سحر فواتر الأجنان

وقال هذيل الأشجعي في عبد الملك بن عمير قاضي الكوفة يعمز من قناته بشأن أحكامه المنحازة:

وكان لها دلٌّ كحيلة

فأدلت بحسن الدلٌّ منها وبالكحل

ودخل رجل على الشعبي<sup>(1)</sup> في مجلس القضاء، ومعه امرأته وهي من أجمل النساء فاختصما إليه، وأدلت المرأة بحجتها، وقربت يثتها فقال الشعبي للزوج: هل عندك من دفاع؟ فأنشأ يقول:

فُتِنَ الشعبي لما رفع الطرف إليها  
فتته بدلal وبخطي حاجبيها  
فقضى جوراً على الخصم ولم يقض عليها  
كيف لو أبصر منها نحرها أو ساعديها  
لصعباً حتى تراه ساجداً بين يديها

فولع الناس بالأيات وتناشدوها حتى اضطر الشعبي إلى الاستعفاء من القضاء.

والمعلوم أن نداء الجنس يثير الشحنات الداخلية في النفوس، فتلهم المشاعر، وتستجيب الأنفس للجمال والحب، وتتبادر موجات الفكر في العقول.

والسبب في ذلك كله يعود إلى العيون ونظراتها.

لذلك أوضح الإسلام العلاقة المباشرة بين الجنس ونظرات العيون «أمر الرجال والنساء بغض البصر».

(1) - الراغب الأصفهاني - محاضرات الأدباء - ص 87.

﴿فَلِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضِبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فِرْوَجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ (سورة النور آية 29).

﴿فَلِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظُنَ فِرْوَجَهُنَّ﴾ (سورة النور آية 30).

أئمّا الشاعر ابن الرومي فيحدثنا عن المغنية «وحيد» التي سلبت فؤاده بجمالها التكامل وحسنهما الذي لا يجد له مثيلاً:

يَا خَلِيلِي تَيَمَّتِي وَحِيدُ  
فَفُؤَادِي بِهَا مَعْنَى عَمِيدُ  
غَادَة زَانَهَا مِنَ الْغَصْنِ قَدُّ  
وَمِنَ الظَّبَّابِي مَقْلَتَانِ وَجِيدُ  
وَحَسَانِ عَرْضَنِ لِي قَلْتَ مَهْلَأً  
عَنْ وَحِيدٍ فَحَقَّهَا التَّوْحِيدُ  
حَسَنَهَا فِي الْعَيْنِ حَسَنٌ وَحِيدٌ  
فَلَهَا فِي الْقُلُوبِ حُبٌّ وَحِيدٌ<sup>(1)</sup>

قال المؤمن في قينة له<sup>(2)</sup>:

لَهَا فِي لَحْظَهَا لَحْظَاتُ حَتِيفٍ  
تَمَيَّتْ بِهَا وَتَحْبِي مِنْ تَرِيدٍ

(1) - مصطفى طلاس - مختارات شعرية - 54.

(2) - ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج 7 - ص 58.

فإن غضبت رأيت الناس قتلى

وإن ضحكت فأرواح تعودُ

وتسبى العالمين بمقلتىها

كأنَّ العالمين لها عبيداً

وقد شرب المتبني<sup>(1)</sup> كؤوساً مترعة من خمر ذلك الطرف الساحر

واللحظ الفاتر:

وطرف إن سقى العشاق كأساً

بها نقص سقانيها دهافنا

وخصر ثبت الأ بصار فيه

كأنَّ عليه من حدي نطاقاً

ذلك اللحظ القاتل يسفك الدماء؛ فتلك الشموس ماذهبن وجئن إلا

أجرئين بالحظواهنج دماء عشاقهن<sup>(2)</sup>:

أيام فيك شموش ما انبعحن لنا

إلا انبعحن دماً باللحظ مسفوكاً

و فيه إشارة إلى قول أشجع:

فيإذا نظرت إلى محاسنها

فلكلُّ موضع نظرة قتل

---

(1) - ديوان المتبني - ج 2 - ص 296.

(2) - ديوان المتبني - ج 2 - 387.

ومثله لأبي نواس:

يا ناظراً ما أغلقت لحظاته

حتى تشحّط بينهنَّ قتيلٌ

وما أحسن ما أخذه بعضهم فقال:

وجفونَ لك لاتطرف إلَّا عن قتيلٍ

ما جمِيلُ الصبر عنها عند مثلي بجميلٍ

ولعينيها وماتضيّتها من السحر وأثارتها من لوعة الحب ما يلقاه قلب

المتنبي من الوجود. وما كان من يميل إلى اللهو والعشق ولكنَّ جفون

عينيها فتأنَّه لمن يراها. تدخل العشق في قلب من لم يعشق:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما يلقى

وللحبُّ مالم ييقَّن مني وما يبقي

وما كنته من يدخل العشق قلبه

ولكنَّ من يبصر جفونك يعشقِ

ويرى الشاعر مسلم بن الوليد<sup>(1)</sup> «صريح الغواني» أنَّ العين تسلب

الألباب كالخمر، وتنطق بكلِّ معانٍ السحر، وألوان الفتنة:

إنْ كانت الخمر للألباب سالبةً

فإنْ عينيك تجري في مجاريها

سيان كأس من الصهباء أشربها

ونظرة منك عندي حين تصبّيها

(1) - ديوان مسلم بن الوليد ص 216.

في مقتليك صفات السحر ناطقة

بلفظ واحدٍ شَّىءَ معانيها

ويؤكّد المتنبي<sup>(1)</sup> الأثر القاتل للعيون الساحرة التي تفعل فعل السيف.

فإذا بلغ سكون الحركة فيها نهاية مات من ينظر إليها من فرط حبها:

رأين التي للسحر في لحظاتها

سيوفُ ظُباهَا من دمي أبداً حمراء

تنهى سكون الحسن في حركاتها

فليس لرَأيِ وجهها لم يُمْتَ عذرٌ

ويتساءل: أيُّ شيء أصابه من هو العيون السود والأشفار السود مثل الأحداث:

ما بنا من هو العيون اللواتي

لونُ أشفارهنَّ لونُ الحِداق

وهو لم يَرِ كاللحاظ يوم مفارقته الذين أحبهُم.

لقد أدرن عيوناً حائراً متابعتا لحظتها، متعبات بتراصف دمعها كأنهما وضعـتـ أحـدـاقـهاـ عـلـىـ الزـيـقـ؛ـ فـهـيـ حـائـرـةـ لـاتـسـكـنـ،ـ وـمـتـعبـةـ لـاتـفـتـرـ<sup>(2)</sup>:

(1) - ديوان المتنبي - ص 124.

(2) - ديوان المتنبي - ج 1 - ص 307.

ولم أر كاللحوظ يوم رحيلهم  
بعن بكل القتل من كل مشق  
أذن عيونا حائرات كانها  
مركبة أحداها فوق زئبق  
كما قال أحدهم:  
لقد فتك عيون العيد فيما  
ببيض مرهفات وهي سود  
وتطعنتا القدود إذا التقينا  
بسمرة من أستتها النهود  
ويقول المتنبي: كم قتيل قتل عيون المها: أي المشابهة لعيون المها  
- وليس تلك العيون التي قتلته كالعيون التي قلتني وفتك  
بـ<sup>(1)</sup>:  
كم قتيل، كما قتلت شهيد  
ببياض الطلى وورد المحدود  
وعيون المها، ولا كعيون  
فتكت بالتميم العمود  
وفي المعنى ذاته يقول الشاعر أحمد شوقي<sup>(2)</sup>:

(1) - ديوان المتنبي - ج 1 - ص 313.

(2) الشوقيات - ص 139.

من صور السحر المبين عيوناً  
وأحله حدقًا لها وجفونا؟  
يقلب إنّ من البوادر أعيناً  
سوداً وإن من الجاذر عيناً  
العين الساحرة تزداد حسناً بترابيد النظر إليها على حدّ تعبير أبي نواس  
يطلب الخمر من عينها الساحرة:  
وساحرة العينين ماتحسن السحرا  
تواصلني سراً وتقطعني جهراً  
وهات اسكنني من طرفها خمر طرفها  
فإنّي امرؤ آليت لأنشرب الخمرا  
ودار بها ظبي من الإنس ناعمٌ  
ترود عيون الشرب جانبها شّرداً  
إذا مأدادر الكأس ثئي بطرفه  
فتعاطاهم خمراً وعطاهم سحراً  
ويقول الصلاح الصفدي:  
ياعاذلي على عين محجبة  
خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي  
ونخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها  
لاترم نفسك بين السيف والهدف

ويقول أحمد شوقي<sup>(1)</sup>:

لَكْ قَدْ سَجَدَ الْبَانُ لَهُ

وَتَنَتَّ لَوْ أَقْلَتْهُ الرَّبِّيُّ

وَلَحَاظَ مِنْ مَعْانِي سَحْرِهِ

جَمَعَ الْجَفَنَ سَهَاماً وَظَبِّيُّ

وَيَسْدُدُ أَحْوَرَ الْمَقْلَةَ سَهَاماً اللَّحْظَةَ فِي صَمْمِيِّ الْفَؤَادِ كَمَا يَقُولُ لِسَانُ

الْدِينِ الْخَطِيبِ فِي مُوشَحَتِهِ الْمَشْهُورَةِ<sup>(2)</sup>:

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هُمِّي

يَازِمَانُ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ

أَحْوَرُ الْمَقْلَةَ مَعْسُولُ الْلَّمِيِّ

جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالُ النَّفْسِ

سَدَّ السَّهْمَ فَأَصْمَى إِذْ رَمَى

بِفَوَادِي نَبْلَةَ الْمُفْتَرِسِ

غَزَالٌ يَسْلُلُ السَّيْوِفَ مِنْ لَحْظَةِ الْأَحْوَرِ فَيَمْتَلِكُ بِحُسْنِهِ الْقُلُوبَ الَّتِي  
لَا تَهُدُّ مِنْ رَوْعِهَا.

يَقُولُ ابْنُ زَمْرَكَ<sup>(3)</sup>:

بِاللَّهِ يَا قَامَةَ الْقَضِيبِ

وَمَخْجُلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

(1) - الشوقيات - الجزء الأول - ص 117.

(2) - د. جوت الركابي - الأد الأندلس - ص 328.

(3) - د. جوت الركابي - المرجع نفسه - ص 328.

من ملُك الحسن في القلوب  
وأيد اللحظ بالحَرَز  
كم شادين قاد لي المحتوا  
بربع القلب قد سكن  
يسُلُّ من لحظه سِيوفاً  
فالقلب بالروع ماسِكٌ

ولاتختلف نظرة الشعراء الصوفيين إلى جمال المحبوب عن غيرهم من  
بقية الشعراء.

فلو نظرنا - على سبيل المثال - إلى حبّية الشاعر الصوفي «المتّجّب العاني» لرأيناها حبّية دقيقة الخصر، مصقولة الترائب معتدلة القوام.  
شعرها كالليل، وجهها كالبلد، أجهانها ناعسة ساحرة.

ومن نماذج شعره قوله في وصف المحبوب<sup>(1)</sup>:  
وربّ أهيف ساجي الطرف معتدل  
أغنّ أحوى دقيق الخصر واهيه  
أغار أمّ الطّلا من غنج مقلته  
وعلم البان ضرباً من تثنيه  
فالترجس الغضّ من عينيه أنهيه  
والورد باللحظ من خديه أجنيه

(1) - د. أسعد علي - فن المتّجّب العاني - ص161.

ختمت سمعي وطRFي في هواه فلم  
أنظر سواه ولا أصغي لواشيه  
لقد ختم سمعه وبصره بحب حبيبه؛ فما يسمع إلأ إيه، ولا يصر إلأ  
به.

إنّه ليترفع بالفهم إلى المستوى الغلوى من صبابات العشاق  
الصوفيين الذين يكتنون بالحبيب عن المطلق الأزلي الذي انبثق الكلُّ  
عنه ومنه.

وحيثما لاترى العين حدود المباشر يتيقظ الباطن فتنفتح داخل  
الإنسان عيون وعيون.

الصوفي إنسان يرى ماوراء الأشياء والحدود. ولهذا كانت عينه  
العين، وشعره الشعر.

فالحلّاج مثلاً يتتجاوز في الرؤيا حدود القلب والغزلان والتوراة  
والصحف ودين الحب.

لقد صار هو هو:

ياجملة الكلُّ لست غيري  
فما اعتذاري إذن إلّي<sup>(1)</sup>  
أنا أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حلّلنا بدننا

(1) - د. علي شلق - العين في الشعر العربي - ص102.

فإذا أبصرتني أبصرته  
وإذا أبصرته أبصرتنا

أما ابن الفارض فيخلو مع الحبيب، ويبيح لنفسه النظر إلى محاسن وجهه ليتعرف إلى ذاته بعد أن كان ضائعاً غير معروف<sup>(1)</sup>:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا  
سرُّ أرقٌ من النسيم إذا سرى  
واباح طرفي نظرةً أملتها  
فبددت معرفةً و كنت منكراً  
فدهشت بين جماله وجلاله  
وغدا لسان الحال عني مخبراً  
فأدر لحاظك في محاسن وجهه  
تلق جميع الحسن فيه مصوّراً

### العين الحوراء:

أما العيون الدُّجج العربية الأصيلة التي تتصف بشدة السواد واتساعه مع سعة المقلة.

فقد حاول أبو حزره جرير<sup>(2)</sup> أن يوحى بسحرها حين قال:

(1) - ديوان ابن الفارض - ص.99.

(2) - أدونيس - ديوان الشعر العربي .416

لقد تكتمت الهوى حتى تهيمني  
لأن العيون التي في طرفها حوز  
قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا  
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به  
وهن أضعف خلق الله إنسانا  
ويقول الشاعر أبو هشان في المعنى ذاته<sup>(1)</sup> :  
أخو دني رمته فأقصدته  
سهام من جفونك لاتطيش  
فوائلك لا يقال سوى أحوار  
بهن ولا سوى الأهداب ريش  
أصبن فؤاد مهجته فأضحي  
سقيناً لا يموت ولا يعيش  
العيون السود الطبيعية الجميلة هي التي انتشى العربي بلمحاتها،  
وتکحّلت عيناه بلحاظاتها الساحرة.

لقد وضع العرب لهذه العيون كياناً جمالياً متعدد المعاني  
والصفات اتخذوه مقاييساً للجمال. وأهم تلك الصفات أو جزءها  
المتدر الأكبر عندما أهدى إلى كسرى أنوشروان جارية، وكتب إليه

(1) - الأ بشيبي - المستطرف من كل فن مستطرف ص 406.

في وصف عينيها يقول (إنّها زجاجاء وطفاء، كحلاء، دعجاء، حوراء، عيناء).  
عيناء).

فالزجاج هو في الحاجبين دقة وطول كما وصفه خالد بن صفوان في  
نونيته المسماة «العروس».

صفتر تراتبها زج حواجبها

سود ذوائبه كالحالك القاني

والوطف: غزارة الأهداب مع طول. فهو أوطف. وهي وطفاء.  
والعين الكحلاء: هي العين التي تبدو وكأنَّ الكحل فيها وهي من غير  
تكحُّل كعين الغزال.

يقول عبد الرحمن بن حسان وكان يشدو بغنائهما ابن سريج:

ولأنَّ عينيها لعينا جؤذر

أهدب الأسفار من حور البقر

تنكر الإمام لاتعرفه

غير أن تسمع منه بخبر

والحور: شدة يياض المقلة مع شدة سوادها، والدعج في العينين شدة  
سواد الحدقة.

يقول خالد بن صفوان:

كحلاء في دعج عيناء في برج

نجلاء في زجاج تسلو وتقلاني

ويقول العرب في أوصاف العيون وملحقاتها:

ظمياء العيون: رقيقة الجفون.

عين سجراء: أي بيضاء السجور وهي أن يخالط بياضها حمره.

عين شكلاء: أي بيضة الشكل ويقال: أشكل أي طويل شق العين.

عين سبلاء: العين الطويلة الهدب.

عين شهلاء: الشهلة حمرة في سوادها.

البلغ: نقاوة وتباعد ما بين الحاجبين.

قال المسدود<sup>(1)</sup>:

باحروار العين والدعج واحمرار الخد في الضرج

وبتفاح الخدود وما ضم من مسلك ومن أرج

كن رقيق القلب إنك من قتل من يهواك في حرج

لقد نفذت سهام العين إلى قلب المتشي فجرحته جرحاً يشبه عينيها

في السعة. وربما كان الرمح لا يصل إليه بسبب وجود الدرع. ولكن

الدرع لم تحصنه من نظرتها:

مثُلِتْ عَيْنِكَ فِي حَشَائِي جَرَاحَةٌ

فتتشابها كلتاهما بجلاء<sup>(2)</sup>

(1) - ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج 7 - ص 39.

(2) - ديوان المتشي - ج 1 - ص 14.

نفتت عليٍ السابري وربما  
تندق في الصعدة السمراء  
أما عمر بن أبي ربيعة الذي قضى عمره مبهوراً بألوان الحسن  
فيقول:

ولن أنسى بخيف مني تسارق زينب النظر<sup>(1)</sup>  
إليٍ بقلتي ربِّي ترى في طرفه حورا  
دخل بعض الأعراب على ثعلب النحوي فقال<sup>(2)</sup>  
أنشدني يا إمام الأدب أرقَ شعر قاته العرب.  
فقال لأجد أرقَ من قول جرير:  
إن العيون التي في طرفاها حور

قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

يصر عن ذا اللب حتى لا يحرك له

وهن أضعف خلق الله إنسانا

فقال الإعرابي هذا شعر قد لاكته السفالة بأسنته هات غيره.

فقال ثعلب: أخذنا مما عندك يا أخا العرب.

فقال الإعرابي:

قول مسلم صريح الغواني:

(1) - ديوان عمر بن أبي ربيعة 167.

(2) - بهاء الدين العاملي - الكشكوك - ج 2 - ص 318.

نبارزُ أقرانَ الوعي فنصدُّهم  
ويغلبنا في السلم لحظ الكواكب  
وليس سهام الحرب تُقْنِي نقوسنا  
ولكن سهام فوقت فوق الواجب  
فقال ثعلب لحضور مجلسه:  
اكتبوها على الحناجر؟  
ولو بالحناجر؟

ومن طريف ما قاله الشاعر تميم بن المعز متغلاً<sup>(1)</sup>:  
أباح لقلتي السهرا وجار علىٰ واقتدا  
غزال لو جرى نفسى عليه لذاب وانفطرا  
ولكن عينه حشدت علىٰ الغنج والحورا  
ومن أودى به قمر فكيف يعاتب القمرا؟  
ويروى أن الخليفة عبد المؤمن بن عليٰ أمير دولة الموحدين في المغرب  
كان يسير يوماً بصحبة وزير ابن عطيه في طرق مراكش فأطللت جارية  
حسناً، فقال الخليفة مرتجلة<sup>(2)</sup>.

قدْث فؤادي من الشياك إذ نظرت  
فأجازه الوزير: حوراء ترنو إلى العشاق بالعقل.

(1) - زهر الآداب - ج 2 - ص 186.

(2) - أحمد توفيق المدنى - تاريخ افريقيا.

فقال عبد المؤمن: كأنما لحظها في قلب عاشقها.

فقال الوزير: سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي.

ويتحدث الشاعر ابن الساعاتي عن علة الحدق وصحتها<sup>(1)</sup>:

لاغرنك بالسيف المضاء فالظبا مانظرت منه الظباء  
حدق صحتها علىها ربما كان من الداء الدواء  
ويصف ماتفعله سهام اللحظ:

وأحور من عينيه هاروت بابل

رمى فاتقينا نبله بالمقاتل  
يدافع عن أحاظه بجفونه  
ولم أرجفنا صال دون المناضل

### العيون الزرقاء:

عرف العرب اللون الأزرق في عيون الجواري والقيان منذ عهد الجاهلية عن طريق قوافل التجار التي كانت تحمل الرقيق من بلاد فارس وغيرها.

كما عرف العرب القدامى اللون الأزرق في عيون الغزاة الروم؛ ولذلك لم تأت أوصافها في شعر التراث إلا نادراً.

كره العرب اللون الأزرق، والعيون الزرق فاتهموا أصحابها بالكذب واللؤم والشر.

---

(1) - د. عمر موسى باشا أدب الدول المتتابعة - ص 541

وكان اللون الأزرق في العيون علامة فارقة للأعجمي الرومي وكل  
أعجمي حتى قيل عن شديد العداوة «إنه عدو أزرق»<sup>(1)</sup>.

ويقال في العدو «هو أزرق العين»، وإن لم يكن أزرق».

هجا بشار بن برد العباس بن محمد العباسي أخا الخليفة أبا جعفر  
المنصور بقوله:

وللبخييل على أمواله علل

زرق العيون عليها أوجه سود

شبيه بشار العلل بحراس يتخيلاها البخييل على ماله، وتخيل لها أعيناً  
زرقاً ووجوهاً سوداء، كي تكتمل فيه الدمامنة.

وهذا المعنى أخذته بشار من قوله تعالى في سورة طه آية «100» { يوم  
ينفخ في الصور، ونحضر المجرمين زرقاء }.

في تفسير الحلالين: معناه أن تكون عيونهم زرقاءً ووجوههم سوداء؛  
لأن وجوه المجرمين تسود يوم القيمة.

ولم تخل أشعار العرب من وصم العين الزرقاء بالقبح والحسد. من  
ذلك قول بشار:

تراخت في النعيم فلم ينلها

حواسد أعين الزرق القباح

ويتشاءم ابن الرومي من العيون الزرقاء فيقول في هجاء ابن طالب الكاتب:

(1) - ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج 3 - ص 56.

أزيرق مشؤوم، أحيمر قاشر  
لأصحابه نحس على القوم ثاقب  
وهل يتمارى الناس في شؤم كاتب  
لعينه لون السيف والسيف قاپض  
وقال ذو الرمة في ذم العيون الزرق:  
زرق العيون إذا جاورتهم سرقوا  
ما يسرق العبد أو نابائهم كذبوا  
وكان التسري بالجميلات من روميات وفارسيات لحسن قوامهن،  
ويماض بشرطهن قد بدأت منذ الفتوحات الإسلامية.  
قال عمر بن أبي ربيعة:  
سحرتني الزرقاء من مارون  
إنما السحر عند زرق العيون  
سحرتني بجيدها وشتيت<sup>(1)</sup>  
وبوجه ذي بهجة مسنون  
فاللون المستحب عند العرب كان لدى المرأة ذات البشرة البيضاء  
الحقيقة أو البيضاء التي يضرب لونها بالغداعة إلى الحمرة وبالعشية إلى  
الصفرة كما وصفها ذو الرمة:  
بيضاء في دفع كحلاء في برج  
كأنها فضة قد مسها ذهب

---

(1) - الجيد: العنق - الشتيت: الثغر الأفلج.

وجاء قوله تعالى:

﴿وَعِنْهُمْ قَاصِرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ﴾ أي حسان الأعين لainظرن إلا إلى أزواجهن.

﴿كَأَنَّهُنْ يَبْضُ مَكْتُونٍ﴾ الصافات آية 48 - 49.

وجاء في تفسيرها «كأنهم في اللون الأبيض يبض للنعمان مستور بريش لا يصل إليه غبار. ولونه البياض في صفرة».

فاللون الأصفر أحبه العرب. وجاء قوله تعالى:

﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقِعَ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاظِرِينَ﴾ سورة البقرة.

ثمأخذت العيون الزرق<sup>(1)</sup> تتكاثر بين مشاهير العرب. فمروان بن الحكم والي المدينة المنورة كان أزرق العينين وسميت باسمه عين الزرقاء وهي عين الماء التي تقع جنوب غرب المدينة المنورة.

وفي العصر العباسي كان الكثير من الخلفاء من أمهات روميات وتركيات.

وكثيرات منهن كن زرق العيون.

ونلاحظ أن الشعراء الذين دافعوا عن زرقة العيون في ذلك الوقت.

شبھوا زرقة العين بزرة عتاق الطير، أو زرقة حد السيف لا بزرة السماء كما درج على ذلك شعراء الغرب، وشعراؤنا المعاصرؤن لأن السماء تتراهى لهم غالباً صافية زرقاء عبر الدهور.

(1) - الدكتور عبد الرحمن البابا - في أدب وطب العيون - ص 32.

وفي الصحراء يطغى في الميزان جمال الغيوم في السماء على جمال  
الزرقة والصفاء.

يقول الأوّل الدمشقي<sup>(1)</sup>:

يامن هو الماء في تكوين خلقته

ومن هو الخمر في أفعال مقلته

ومن بزرقة سيف اللحظ طلّ دمي

والسيف ما فخره إلّا بزرقته

علّمت إنسان عيني أن يعوم فقد

جادت سباحته في بحر دمعته

وفي حديث ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتاب النساء قال:

قال رسول الله ﷺ:

«تنزّلوا الزرق؛ فإنّ فيهن يمنًا»

وقال معاوية لصحابي العبد:

«إنك لأزرق».

فقال له صهار:

والبازي أزرق.

أخذه الشاعر محمد بن وهب البصري البغدادي فقال:

(1) - الشعالي - يتيمة الدهر - ج 1 - ص 288.

أحبك إن قالوا بعينك زرقة

كذاك عناق الطير زرق عيونها

ولم يكن الشعر العربي القديم وحده حافلاً بنم العيون الزرقاء فقد  
لاحتقتهم الأحاديث الموضوعة، والأمثال الشعبية.

ففي حديث من غير سند رواه дильمي يقول:  
«إياك والأشقر الأزرق فإنه من قرنه إلى قدمه مكر».

وفي أيامنا يقولون في الأمثال الشعبية:  
«إياك والعيون الزرق والأسنان الفرق».

لكن كراهية العيون الملوونة التي سادت في عصور الجاهلية والإسلام  
تحولت إلى نقىض ما كانت عليه منذ بداية العصر الحديث. ومع أن  
وصف أعضاء المرأة الحسناء تضاعل في الشعر الحديث مع اتساع أفق  
الشعراء في تأملاتهم وأفكارهم وتتأثرهم بالرومانسية الغربية والمذاهب  
الشعرية الكثيرة. فإن حضور العيون الخضر الزرق أصبح واضحاً تزخر به  
روائع شعر الغزل الحديث.

يقول أمين نخلة في العيون الزرق<sup>(1)</sup>:

غمّس الريشة في البحر الذي

صوّر العينين كاللنج الرقيق

فتح الماضي لعيني كوة

فأطلي أذبّ الحب العتيق

(1) - أمين نخلة - الديوان الجديد - ص128.

وفي العيون الزرقاء الواسعة التي تحاكي بزرقها لون السماء والبحر  
يقول الشاعر بدوي الجبل:

في مقلتيك سماوات يهددها  
من أشرف النور أصفاه وأحلاه  
ورنوة لك راح النجم يرشفها  
حتى ترنح سكر في محياه  
أطلل خلف الجفون الوطف موطنه  
بعد الفراق فحياته وفداه  
قلبي وللشقرة المغناج لهفته  
ليت الحنين الذي أضناه أفناده  
مدله فيك ما ليل ونجمته  
موله فيك ماقيس وليلاه  
يضيع عني وسيم من كواكبها  
فحين أرنو إلى عينيك ألقاه  
توحى العين بالبحر عمقاً واتساعاً وحركة وارتحالاً . وعالم العيون  
عالٌ يختصر الطبيعة وكلما خاف الشاعر نزار قباني من الضياع أو  
الدوران سعى إلى أن يرسو في مرأة عينيها الأزرق<sup>(1)</sup>.  
في مرأة عينيك الأزرق

---

(1) - مجلة الموقف الأدبي - العدد 857 - عام 1975 ص 38.

أركض كالطفل على الصخر  
استنشق رائحة البحر  
وأعود كعصفور مرهق  
في مرفا عينيك الأزرق  
تتكلم في الليل الأحجار  
في دفتر عينيك المغلق  
من خبأًآلاف الأشعار  
لو أني... لو أني بحار  
لو أحد ينحني زورق  
أرسيت قلوعي كل مساء  
في مرفا عينيك الأزرق  
الموج الأزرق في عينيك  
يجرجني نحو الأعماق  
أزرق  
أزرق  
لا شيء سوى اللون الأزرق  
وأنا ما عندي تجربة  
في الحب ولا عندي زورق

اللون في العينين أغرق لون البحر. غير أن العيون بصفاتها تقف فوق  
الزمن وربما قبل الزمن فهي نوع من الأزل:

أنا عيناك أنا كتبتهما

قبل بدء البدء قبل الأعصر

أنا بعثرت نجومي فيهما

زمر تسألني عن زمر

ما المصايب التي تغلي على

فتحتي عينيك إلا فكري

وتنفتح أمامنا أكون تستجيب لها بصيرتنا كلما رأينا عينين زرقاء  
بمثل هذا الجمال الذي رحل إليه الشاعر نزار قباني في «القصيدة  
البحرية».

وينسحق نزار قباني أمام قدره الضائع الفار من عينيها ليقف مع  
ماضيه وحاضرها ومستقبله لحظة واحدة.

إني لأبحث في عينيك عن قدرى

وعن وجودي ولكن لأرى أحداً

ويستخدم للعيون مواصفات الفيروز ونيسان الليل والزنبق<sup>(1)</sup>:

وفي مرفاً عينيك الأزرق

يتساقط ثلج في توز

---

(1) - مطانيس ميخائيل - دراسات في الشعر العربي الحديث - الصفحات 149 - 158.

ومراكب حبلی بالفیروز  
أغرقت البحر ولم تغرق  
ويقول في قصيدة أخرى:  
عيناك نيسانان... كيف أنا  
أغتال في عينيك نيسانا؟

ومن الملاحظ أن رؤية اللون انتقلت من النظر إليه في نفسه إلى النظر إليه في أثره كمنبه للنفس الإنسانية.

إن اللون دارسة ومفهوماً وطبيعة - تطور تطوراً واسعاً فإذا كان التقليديون يتظرون إلى اللون نظرة مادية في ذاته على أساس أنه حلية ترتبط بالشكل، فإن الأدباء في العصر الحديث أخذوا يرونها على أساس أنه قيمة تعبيرية ترتبط بمعنى العمل ومحتواه، وبتجربة صاحبه الوجدانية.

فالأخضر: عنوان انتفاخ الحياة والصحة ويرمز إلى الكون والطبيعة والربيع والشباب. والأزرق يشير إلى الهدوء والسكينة والامتداد العام الذي لا يعرف الحدود.

يقول الدكتور ابراهيم ناجي:

## أزرق العين هادئ هدأة البـ

حر بعید الرضی بعید القرآن

(١) - د. نعيم اليافي - تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث - ص 224.

أما اللونان الأبيض والأسود فقد أكثر من استعمالهما الشعراء وقابلوا بينهما باستمرار؛ فالأبيض يرمز إلى الصفاء والغبطة والبقاء والعفاف والسلام، والأسود عكس ذلك يوحي بالحزن والخطيئة والظلم والقسوة والصلادة.

### العين الخضراء:

أصبحت العين في نظر الشعراء عالماً كبيراً بألوانه المختلفة تنسكب فيه زرقة السماء والبحار، أو خضرة المروج والكرم ويدوّب فيه سواد الليل كحلاً، ينادي القمر والنجوم، وتكمّن وراءه الغوامض والأسرار.

العيون الخضراء يصفها الشاعر بدر شاكر السيّاب بقوله:

عيناك غابتَا نخيلي ساعة السّحر  
أو شرفتان راح ينأى عنهمَا القمر  
عيناك حين تبسمان تورق الكرم  
وترقص الأضواء كالألمار في نَهْرٍ

إنّها ذات مدي زتي؛ بحيرة حضراء، عريشة كسلى تختصر الطبيعة، وتحتويها عطاءً ومشاويّر، وصيفاً خيّراً خصب المواسم.

المساء هادئٌ؛ لكنَّ فيه شلالاً، العينان هادئتان لكنَّ فيهما ألوان الصور تنزلق عليهما، وبريق العينين يخطف انتباه الشاعر نزار قباني إلى ما فيهما من افتتاحات على آفاق مديدة:

المساء شلالٌ فيروز ثري

وبعينيك ألف الصور<sup>(1)</sup>

وأنا متتقل بينهما ضوء

عينيك وضوء القمر

وبعينيك مرايا اشتعلت

وبحazar ولدت من أبحر

وانفتاحات على صحي على

جزير ليست ببال الجزر

اخضرار عينيها هو سر اللون والضوء في الشرق والغرب<sup>(2)</sup>:

ثري ياجميلة لولاك هل ضج بالورد درب

ولولا اخضرار عينيك ثر الماعيد رحب

أيسبح بالضوء شرق أيغمر باللون غرب

الخضرة الجميلة نراها في العيون التي وصفها الشاعر راشد حسين في

قصيده «القدس في عينين»:

لون عينيك نخيل لون عينيك دوال

لون عينيك كحببي القدس غال ألف غال

وجريح لو عينيك كشعري

(1) - مجلة اللotos - العدد 66/65 - عام 1988 - ص 154.

(2) - نزار قباني - طفولة نهد - ص 52.

وجميلٌ مثل حبي  
وطويلٌ كاعتقالي  
لون عينيك أبي يزرع رماناً وتيناً  
ويقول: ازرع، فما تزرعه يُضحي بثيناً  
ويغنّي يالiali يالiali  
لون عينيك صلاح الدين من دون رجالٍ  
وعذابٌ لون عينيك لأشباء الرجال  
لون عينيك حصادٌ  
لون عينيك ييادِر  
لون عينيك كفاحٌ. وطني فيه مسافر  
وصبورٌ لون عينيك كأمي  
وكريم كسهولي، وأيّي كجبالي  
لون عينيك حمام، ونسورٌ في نضالي  
سعيد عقل زعيم المدرسة الجمالية في الشعر العربي يطالب أن يكون  
الجمال مطلقاً وغير محدود.  
حلم أيّي الجن؟ يا أغنيةَ  
عاش من وعد بها سحر الوتر<sup>(1)</sup>

---

(1) - رندلي - ص12.

والمرأة عنده رمز لجمال الوجود وعبقريته في الخلق والإبداع. إنه يشيق لاتساع عينيها<sup>(1)</sup>، وينقله الفتون والسحر من سنى الزنبق إلى ذراعيها ثم إلى أراجيح الهوى ومروج جفونها الخضر.

يكون أن أشهق  
ل الكبر عينيها  
ومن سنى الزنبق  
إلى ذراعيها  
ينقلني الفتون  
ينقلني إلى الغوى  
إلى أراجيح الهوى  
إلى المروج الخضر في الجفون

(1) - مطانيوس ميخائيل - دراسات في الشعر العربي الحديث - ص 149.





### معايير العين<sup>(١)</sup>

الخَوْصُ: ضيق العينين.

الخَوْصُ: غثورها مع الضيق وغليظ الجفن الأعلى.

الشَّتَرُ: انقلاب الجفن.

العَمَشُ: أن تسيل العين وترمص.

الكَمَشُ: ألا يكاد يُبصر.

العَطَشُ: شبه العمش.

الجَهَرُ: ألا يبصر نهاراً.

العَشَا: ألا يبصر ليلاً.

الخَزَرُ: أن ينظر بمُؤخرة عينه. والخَزْرَةُ: انقلاب الحدقة نحو حاظ.

الغَضَنُ: أن يكسر عينه حتى تتغضَّن جفونه.

القَبَلُ: أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه وهو أهون من الحول.

الخَفَشُ: صغُر العينين وضعف البصر.

---

- أبو منصور الثعالبي - فقه اللغة وسر العربية - ص 121 - 122.

الجَفْنُ: فساد في العين يضيق له الجفن.

الدُّوْشُ: ضيق العين وفساد البصر.

البَخْنُ: أن يذهب البصر والعين منفتحة.

الكَمَهُ: أن يولد الإنسان أعمى.

الشُّطُورُ: أن تراه ينظر إليك وهو ينظر إلى غيرك.

الشُّوْصُ: أن ينظر بإحدى عينيه ويميل وجهه في شق العين التي يريد أن ينظر بها.

المحوظُ: خروج المقلة وظهورها من الحاجاج.

البَخْصُ: أن يكون فوق العينين أو تختهم لحم ناتئ.

جاء في لسان العرب «الأحول الذي حولت عيناه جمِيعاً».

أَمَّا إذا أقبلت إحدى الحدقتين على الأخرى فهو أقبل، والمرأة قبلاء.

ويقال أقبل عينه، أي صيررها قبلاء.

إذا أقبل سواده على الأنف فهو أقبل (حول متقارب) فإذا أقبل على الصديغين فهو أخزر (حول متبعد).

وصاحب العين الحولاء يخدع الرقيب بنظره، فلقد كان أبو العيناء الشاعر الأحول يجد في حول عينيه ما يحمد الله عليه:

حمدت إلهي إذ بلاني بحبيها

على حَوْلٍ يعني عن النظر الشَّرِّ

نظرت إليها والرقيب يخالني  
نظرت إليه فاسترحت من الغدر  
ويقول مزاحم العقيلي<sup>(1)</sup>:  
أفي كُل يوم أنت من لاعج الهوى  
إلى الشّم من أعلام ميلاد ناظر  
بعمشاء من طول البكاء كائنا  
بها رمد أو طرفها متخارز  
تنئى المنى حتى إذا ملئت المنى  
جري واكف من دمعها متباذر  
وقد تصاب العين بالعشى من كثرة البكاء.  
يقول أبو بكر محمد بن زهر الإشبيلي<sup>(2)</sup>:  
ما لعبني عشيٌ بالنظر  
أنكرت بعده ضوء القمر  
وإذا ماشت فاسمع خيري  
عشيت عيناي من طول البكا  
وبكي بعضي على بعضي معي  
وأنشد الشعالي في فقه اللغة:

(1) - ديوان الشعر العربي، أدونيس ص 460.

(2) - د. جودت الركابي - في الأدب الأندلسي - ص 322.

أشتهي في الطفلة القبلا

لأكثرها يشبه الحوا

وتحضية قصة ثروى عن تطير ابن الرومي. من ذلك أنه حضر مهرجاناً شهدته قينتان إحداهن حواء والثانية عجوز في عينها نكتة. فتطير من ذلك. وحدث أن سقطت ابنة صاحب المهرجان عن السطح. فعوا ذلك إلى المغتنيين:

أيها المحتفي بحولٍ وعoir

أين كانت منك الوجوه الحسان

فتُنك المهرجان بالحول والعو

ر أرانا ما أعقب المهرجان

كان من ذلك فقدك ابتلك

الحرة مصبوغة بها الأجناف

ولقد كان أعران يمشيان معاً فقال أحدهما:

أيا سره فيفصينا المعري أيامنه فيجمعنا جرير

ونذهب بيتنا رجل ضرير وزرجع بيتنا رجل بصير

وروى عن أبي حاتم قال:

رمي رجل أبور بن شابه، فأصابت عينه الصحبحة قال «أمسينا وأمسى الملك لله».

كما رُوي عن الزبير بن بكار قال:

جاءت امرأة إلى الزبير تستعدي على زوجها، وتزعم أنَّه يصيِّب جاريتها. فأمر به فاحضر، فسأله عمماً أدعَّت؟

فقال هي سوداء، وجاريتها سوداء، وفي بصرِي ضعف، ويضرب الله برواقه. فأنا آخذ من دنا مني.

ويرى المتبنِّي أنَّ العين قد تنكر ضوء الشمس من رميدها بها أصابها:

قد تنكر العينُ ضوءَ الشمسِ من رميدها

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وإذا كان ضيق العين يعُدُّ من المعائب، فإنَّ الشعراء في عصور الدول المتتابعة تغزلوا بالأتراء والأكراد. فهذا فتیان الشاغوري يتحدث عن حبيب ما أبى باللحظ سفك دمه<sup>(1)</sup>:

أفدي الذي ما أبى باللحظ سفك دمي

لكن متى طلبت العطف منه أبى

ظمي من الترك أصمته لواحظه

وأسهم الترك إن أصمت فلا عجبا

ويتحدث الشاعر ابن عين عن صغر العينين، وضيق المقل وهذا المعنى جديد في شعرنا العربي. وقد ألمَّ به في مطلع قصائده:

(1) - ديوان ابن عين - ص 34.

لاتعرضنْ لضيق المقل فتبيت من أمن على وجلي  
واترك ظباء الترك سانحة لاتعرض لجائع الأجل  
وإلا حظ أن بعض الشعراء الذين شهدوا الحروب الصليبية وتنقلوا في  
الشوار المحتلة اتجهوا وجهة جديدة لم نعرفها من قبل في الشعر العربي.  
حتى إن شاعراً كابن القيسراني قصر طائفة من أجمل شعره على  
التحدث عن الفرنجيات. وسيئى قصائده المذكورة «النفريات».

## العين الحاسدة

عَزْفُهَا إِبْنُ خَلْدُونَ بِأَنَّهَا:

«تأثير نفس المعian عندما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات أو الأحوال، أو يفرط في استحسانه، أو ينشأ عن ذلك حيشنٌ أَنَّه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن أتصف به»<sup>(1)</sup>.

وقيل هي نظر باستحباب مشوب بحسد، من خبيث الطبع يحصل للمنتظور منه ضرر. أمّا الحسد فهو تمني زوال النعمة عن الآخرين، أو تمني عدم حصولها، وكلّ عائن حاسداً، وليس كُلُّ حاسد عائناً.

وقد ربط الله تعالى ما بين الحسد والسحر عندما أمرنا أن نتعوذ منهما بقوله تعالى: ﴿مَنْ شَرُّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقْدِ، وَمَنْ شَرُّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. فالنفاثات: هن السواحر اللواتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن.

واقتراط الحسد بالسحر في هذه الآية يشير إلى وجود علاقة بينهما، ولعل هذه العلاقة هي التأثير الخفي الذي يكون من الساحر بالسحر، ومن الحاسد بالنظر مع اشتراكهما في عموم الضرر.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تأثير العين بقوله تعالى:

.(1) - المقدمة / 556

﴿وَإِنْ يَكُادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْلَقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ،  
وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لِجَنَّونَ﴾<sup>(1)</sup>

تقول العرب رجلٌ مَعْيَنٌ وَمَعِيونٌ إِذَا أَخِذَ بِالْعَيْنِ. وتقول  
العرب<sup>(2)</sup>:

«إِنَّ الْعَيْنَ تَسْرُعُ بِالْأَبْلِ إِلَى أَوْصَامِهَا، وَبِالرِّجَالِ إِلَى أَسْقَامِهَا». وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَوْ سَبَقَ الْقَدْرُ شَيْءًا لِسَبَقَتِهِ الْعَيْنُ. إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ». وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْخُلُ الرَّجُلَ  
الْقَبْرَ، وَتَدْخُلُ الْجَمْلَ الْقَدْرَ» رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ.

وَالْجَاحِظُ<sup>(3)</sup> لَا يُتَكَرِّرُ أَنْ يَنْفَضِّلَ مِنَ الْعَيْنِ الصَّائِبَةِ إِلَى الشَّيْءِ  
الْمُسْتَحْسَنِ أَجْزَاءَ لَطِيفَةً تَتَصَلُّ بِهِ، وَتَؤْثِرُ فِيهِ. فَيَكُونُ هَذَا الْمَعْنَى خَاصِيَّة  
فِي بَعْضِ الْأَعْيُنِ كَالْخَواصِّ فِي الْأَشْيَاءِ.

وَبِهَذَا الصِّدْدِ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ:

رَأَيْتُ رِجَالًا عَيُونًا سَمِعَ بَقَرَةً تُحْلِبُ فَأَعْجَبَهُ سَخْبُهَا.

فَقَالَ: أَيْتَهُنَّ هَذِهِ؟ قَالُوا «الْبَقَرَةُ أُخْرَى يُورُونَ عَنْهَا فَهَلَكْتَا».

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَسَمِعْتَهُ يَقُولُ:

إِذَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يَعْجِبُنِي وَجَدَتْ حَرَارةً تَخْرُجُ مِنْ عَيْنِي. وَمَا يُرُوِي  
أَنَّ الْعَرَبَ قَدِيمًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَصِيبُ

(1) - سورة القلم آية .51.

(2) - ابن عبد ربه - المقد الفريد ج 7 ص 286.

(3) - الطبرسي - مجمع البان ج 5 ص 245.

صاحبہ بالعین تجوع ثلاثة أيام، ثم كان يصفه فيصرعه بذلك<sup>(1)</sup> وبهذا  
المعنى يقول الشاعر العربي:

ترميك مزلقة العيون بطرفها  
وتکل عنك نصال نبل الرامي  
وقال آخر<sup>(2)</sup>:

يتقارنون إذا التقوا في مجلس  
نظرأ يزأ مواطن الأقدام

وقال آخر:  
وجاؤوا إليه بالتعاويذ والوقى  
فصيروا عليه الماء من شدة التكس  
وقالوا به من أعين الجن نظرة

ولو أنصفوا قالوا به أعين الأنس

وقد نقل المسعودي عن الجاحظ أنَّ البومة لا تخرج بالنهار خوفاً من  
العين لأنَّها تظنُّ أنها حسناً..

وخوفاً من عيون الحشاد عمد الشاعر ديك الجن الحمصي إلى قتل  
جاريته، وبعد ذلك ندم على ما فعل<sup>(3)</sup>.

ياطلعة طلع الحمام عليها  
وجني لها ثمر الردى بيديها

(1) - الطبرسي - مجمع البان ج 1 ص 241.

(2) - القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 161.

(3) - ديوان ديك الجن الحمصي.

رويَتْ من دمها الثرى ولطاما  
رؤى الهوى شفتيٌّ من شفتيها  
فوحِق نعليها وما وطئ الحصى  
شيءٌ أعزٌ علىٌ من نعليها  
ما كان قتليها لأنني لم أكن  
أخشى إذا سقط الغبار عليها  
لكن ضئتُ على العيون بحسنها  
وأنفث من نظر المحسود إليها  
ولقد كان الشعراً العرب يحسبون حساباً لأعين الرقباء والواشين.  
والوشاة فصلٌ في قصة كلّ حب.  
وهل يفعل الناس إلا أن يراقبوا الناس؟  
ولذلك كانوا يعتمدون على إشارات العيون التي تحدث بلغة  
لا يفهمها إلا أصحابها.  
وللعين في شعر «أبي نواس» حق على كلّ رأي يخشى للمحاسن<sup>(١)</sup>.  
ياتاركى جسداً بغير فؤاد  
أسرفت في هجري وفي إبعادي  
إن كان ينبعك الزيارة أعين  
فادخل إلى بعلة العواد

(١) - د. علي شلق - العين في الشعر العربي ص 37.

إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْعَيْنِ إِذَا جَنَتْ

جَاءَتْ بِلَيْسَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ

وَجَمِيلَاتٍ «عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةٍ» كَثِيرَاتٌ، وَأَكْثَرُ مِنْهُنَ نَظَرَاتُهُ بَيْنَ  
الْمَحْصُبِ مِنْ مِنِيٍّ.

وَلَدِي كُلُّ مُلْتَمِعٍ بِهِاءٍ؛ غَيْرُ أَنَّ رَائِعَتَهُ فِي «نَعْمَ» أَنْسَتِ الرُّوَاةَ عَنِيَّةَ  
الْأَفْوَاهِ بِالْمَعْلُوقَاتِ:

وَتَرَنُوا إِلَيْيِّ. بِعِينِيهَا كَمَا رَنَا

إِلَى رَبِّ وَسْطِ الْخَمِيلَةِ جَوَذِرَ<sup>(۱)</sup>

إِذَا جَنَتْ فَامْنَحْ طَرْفَكَ غَيْرِنَا

لَكِي يَحْسُبُوا أَنَّ الْهُوَى حِيثُ تَنْظَرُ

ثُمَّ يَقُولُ:

وَلَا تَقِينَا بِالثَّنِيَّةِ أَوْمَضْتِ

مَخَافَةَ عَيْنِ الْكَاشِحِ المُتَنَعِّمِ

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَشِيَّةَ أَهْلِهَا

إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَكُلُّمْ

فَأَيْقَنْتَ أَنَّ الْطَّرْفَ قَدْ قَالَ: مَرْجَباً

وَأَهْلَأَ وَسَهْلَأَ بِالْحَبِيبِ الْمَتَيْمِ

(۱) - د. علي شلق - العين في الشعر العربي ص 37.

ومن لطيف ما أورده ابن المعتز انتظاره غفلة الرقيب لسرقة عينه نظراً  
جديداً<sup>(1)</sup>:

أرُدُّ الطرف من حنري عليه  
وأمنحه التجنُّب والصدودا  
وأرصد غفلة الرقباء عنه  
لتسرق مقلتي نظراً جديدا  
العيون الحاسدة عيون تعرَّت من قيم الجمال الروحية واستحالات  
عيوناً فارغةً دأبها أن لا تغزو الطيور، وأن تذبل الورود.  
تودُّ لو تستلُّ من الطير المغرِّد روحه، ومن الشجر الورق الجذور.  
ذكر عن بعض العائدين أنه كانت تمُّرُّ به الناقفة السمينة فيعينها ثم  
يقول لخادمه:  
خذ المكيل والدرهم والثني بشيءٍ من لحمها. فما تبرح حتى تقع  
فتشحر.

ولابدُ من الصبر على كيد الحسود، وعدم الاهتمام به.  
فالحسد - في الغالب - لا يتمتع بحياة سعيدة، لأنَّه مشغول دائمًا  
بحقدِه وحسده. قال الشاعر:

اصبر على كيد الحسو د، فإنْ صبرك قاتله  
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ماتأكله

(1) - د. علي شلق - العين في الشعر العربي ص 84

والعين تسرق وتنهب على حدّ تعبير الشاعر مان الموسوس<sup>(١)</sup>.

من الظباء ظباء همها الشّبّ

وخلبها الدرّ والياقوت والذهب

يا حسن ما سرقت عيني وما انتهبت

والعين تسرق أحياناً وتنهب

إذا يد سرت فالحد يقطعها

والحد في سرقة العينين لا يجب

وشو العيون عند العرب هي خائنة الأعين التي تسارق النظر إلى  
الأشياء المحرّمة.

قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ سورة غافر  
آية 20.

يُروى أن أعرافية مرت بجماعة من بنى نمير، فأدموا لها النظر فقالت:

يا بنى نمير ما فعلتم بقول الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من  
أبصارهم﴾؟

ويقول الشاعر:

فغضّ الطرف إنك من نمير

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

---

(١) - ابن عبد ربه - المقد الفريد - ج 7 - ص 162.

ولو وزنت حлом بني نمير  
على الميزان ما وزنت ذبابا  
والشاعر حاتم الطائي يفتخر بأنه يغض البصر عن جارات قومه فلا  
ينظر إليهن بسوء<sup>(1)</sup>.

وماضيًّا يا ابنة القوم فاعلمي  
يعجاوري أن لا يكون له ستر  
بعيني عن جارات قومي غفلة  
وفي السمع مني عن حديثهم وقرئ  
وقد ورد في القرآن الكريم آية تخاطب المؤمنين وتطالبهم بغض  
البصر:  
﴿فَلَمْ يَرُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

ومن الملاحظ أن الآية استعملت كلمة «الأبصار» التي هي جمع  
«البصر».

وهناك فرق في الدلالة بين كلمة «بصر» وكلمة «عين». فكلاهما يطلق على العضو البصري؛ غير أن كلمة «عين» تطلق دون  
أن تتضمن دلالة على الإبصار، ولذلك استخدمت الآية كلية  
«الأبصار» لا «العيون».

(1) - مصطفى طلاس - مختارات شعرية - ص54.

واستعملت الآية كلمة أخرى، وهي «يغضوا» ومادتها «الغض» ولم تستخدم كلمة (غمض) لأن الغض يعني إطباقي الجفون.

أما «غض» فستعمل مع البصر والنظر والطرف عادةً.

والغض يعني تخفيف النظر، وعدم تركيزه<sup>(1)</sup>.

روى عن المعلم الصوفي<sup>(2)</sup> قوله: شكوت إلى بعض الزهاد فساداً أبجده في قلبي فقال: هل نظرت إلى شيء فتاقت إليه نفسك؟ قلت: نعم.

قال: احفظ عينيك؛ فإنك إن أطلقتهما أوقعتاك في مكروره، وإن ملكتهما ملكت سائر جوارحك.

إياك والنظر إلى كل مداعاك إليه طرفك، وشوقك إليه قلبك.

(1) - مرتضى المطهري - ترجمة حيدر آل حيدر «مسألة 1 الحجاب» - ص.95.

(2) - الأب لويس شيخو اليسوعي - مجاني الأدب - ج 2 - ص.27.

## العين العميماء

البصر أغلى النعم؛ لكنه يرخص أمام نعمة الحياة.

هناك من ولد عديم البصر، أو فقد بصره خلال حياته فبقي متمسكاً  
بغريرة البقاء، وعائق الحياة وأحبابها كما يحبّها المبصرون.

وهناك من فقد البصر، فأضاع معه الأمل، وضاعت في نفسه معاني  
الوجود.

يقول ناصر الدين شافع علي الكhani العسقلاني وكان أدبياً وشاعراً  
مصرياً:

أضحي وجودي برغبتي في الورى عندماً  
إذ ليس فيهم وردة ولا صدرٌ  
عدمت عيني ومالى فيهما أثر  
فهل وجود ولاعين ولا بصرٌ

وقد قرن القرآن الكريم البصر بال بصيرة لفظاً ومعنى. قال تعالى:

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمى  
فعليها﴾.

فالبصر كاملاً هو رؤية الأشياء بأبعادها، ويستوي فيه الإنسان والحيوان.

بل إنَّ حدة بصر الباقة والنسور والصقور تفوق مرات عديدة بصر الإنسان.

أمّا البصيرة فهي رؤية معاني الأشياء، وإدراك حقائقها بالعقل الذي يتميّز به الإنسان وحده.

يقول الأديب ميخائيل نعيمة في كتابه البيادر: «من أكمل كمالات العربية وأسمائها تميّزها ما ينبع البصيرة والبصر، وجعلها الكلمتين فرعين من أرومة واحدة بل توأمين من بطن واحد. لكنَّ ذاك الفرع غير هذا». ثم يقول: «البصر ومركزه العين يحصر كلَّ همّه في التقاط أشكال الأشياء وألوانها. في حين أنَّ البصيرة، ومركزها القلب، أو الوجدان، همّها الوصول إلى بوطن الأشياء دون التلهي بمظاهرها، فالاثنان يبدأان وراء المعرفة».

والعمى في منطق الإسلام هو عمى القلوب التي في الصدور، أو هو العَمَّة في البصيرة.

وقد عبرَ كثير من الشعراء العرب المكتوفين عن هذا الرأي بوضوح:

فعبد الله بن العباس ابن عم النبي ﷺ قال بعد أن كفَّ بصره:

إن يأخذ الله من عيني نورهما

ففي لساني وسمعي منهما نور

قلبي ذكي وعقلني غير ذي ذحل  
وفي فمي صارم كالسيف مأثور  
وقال الشاعر أبو يعقوب الخريبي:  
فإن يك عيني قد خبا نورها  
فكم قبلها نور عين خبا  
فلم يعم قلبي ولكتما  
أرى نور عيني لقلبي سعي  
إِنَّ نور العين إذا خبا ذهب إلى القلب. هذا مقالة أيضاً أحمد بن  
عبد الله الدائم:  
إِن يذهب الله من عيني نورهما  
فإِنَّ قلبي بصير ما به ضرُّ  
أرى بقلبي دنياي وأخرتي  
والقلب يدرك مالا يدرك البصر  
قيل لبشار بن برد وقد أنسد قوله:  
كأنَّ مثار النقع فوق رؤوسنا  
وأسيافنا ليل تهاوي كواكبها  
ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا  
قط ولا شيئاً منها؟ فقال؛ «إِنَّ عدم النظر يقوّي ذكاء القلب، ويقطع عنه  
الشغف بما ينظر إليه من الأشياء؛ فيتوفّر حشه، وتُتقدّم قريحته»، ثم



والشاعر المتعجب العاني يتتسائل<sup>(1)</sup>:

وما أخو عينين وهو أعمى؟

وميّت حي وأعمى مبصر؟

وهو يريد بالأعور ذي العينين الأعمى عن النجدين.

والميّت الحي: هو حي الجسم ميّت الفؤاد عن سبل الرشاد.

ومثله قوله للضبال:

فابك الغداة بدمع إن بكيت على

أعمى بصير له في الرأس عينان

الرؤية الجزئية هي رؤية الباصرة، والرؤية الكبرى الكلية هي رؤية  
البصيرة ومقيمة البصر إذا انطفأت البصيرة؟

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم<sup>(2)</sup>

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدي

وأسمعت كلماتي من به صمم

ومن طريف مقالة الشاعر على لسان أعمى<sup>(3)</sup>:

(1) - د. أسعد علي - فن المتعجب العاني - ص222.

(2) - د. علي شلق - العين في الشعر العربي ص75.

(3) - الأب لويس شيخو اليسوعي - مجاني الأدب - ج2 - ص164.

سمعت أعمى مرة قائلاً  
يأقوم ما أصعب فقد البصر  
أجابه الأعور من خلفه  
عندني من ذلك نصف الخبر



## **الفصل الخامس**

---

- معانٍ البكاء الإنسانية
- شيخوخة العين
- أفعال العين وتأثيراتها
- جولة فنية في آفاق العين



## من معانٍ البكاء الإنسانية

من أروع وأصدق الأشعار التي تجسّد المعاني في تفسير البكاء أبيات  
لابن الرومي قالها في وفاة ولده. فلقد أجهش بالبكاء وقال مخاطباً  
عينيه الباكيتين.

إِنَّ الْبَكَاءَ شَفَاءٌ لِلنُّفُسِ الْحَزِينَةِ وَلَكُنَّهُ لَا يُرَدُّ مَفْقُوداً:

بَكَاؤُكَمَا يُشْفِي وَإِنْ كَانَ لَا يَجْدِي

فِجُودًا قَدْ أُودِيَ نَظِيرَكَمَا عَنِّي

فَالْدَمْعُ لَمْ يُخْلَقْ فِي جَنَّةِ امْرِئٍ عَبْثَاً:

لَمْ يَخْلُقْ الدَّمْعَ فِي جَنَّةِ امْرِئٍ عَبْثَاً

إِنَّ الْبَكَاءَ لِمَوْجَعَ وَمَحْرُوبٍ

لَمْ يَخْلُقْ الدَّمْعَ لِامْرِئٍ عَبْثَاً

اللَّهُ أَدْرِي بِلَوْعَةِ الْحَزَنِ

عن أسامة بن زيد أنَّ رسول الله ﷺ عندما رفع إليه ابن ابنته وهو  
في الموت إذ فاضت عيناه بالدموع، فقيل له ما هذا يا رسول الله؟ فأجاب:  
«هذه رحمة الله جعلهما في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده  
الرحماء».

في الدموع ضعف وقوه، فهـي عند الشكالـي صرخـة في وجه العذـاب.

وهي جـوهـر البلـاغـة إذا تـعرـض النـطق لـلـاغـيـالـ.

هي انـبعـاث النـور في مـبـسـم الفـجرـ، وـقوـس قـرـح بـيـن الغـيـوم وـقـطـرات نـدـى عـلـى شـواطـئ الضـبـنى في غـابـات الحـنـينـ، وـمـحـنة النـفـس إذا اـسـتـدـرـرـ الدـمـع ذـلـ الـهـوىـ، وـمـذـلـة السـؤـالـ.

فقد يـكـون البـكـاء سـبـباـ في اـسـتـدـرـار العـطـف للـحـفـاظ عـلـى الـعـهـدـ.

يـقـول الشـاعـر قـيس بنـ الحـيـادـيـة (1):

وقـالت وـعـيـناـها تـفـيـضـان عـبـرةـ

بـأـهـليـيـيـنـ لـيـيـ مـتـىـ أـنـتـ رـاجـعـ؟

فـقـلتـ لـهـاـ: بـالـلـهـ يـدـرـيـ مـسـافـرـ

إـذـاـ أـضـمـرـتـهـ الأـرـضـ ماـ اللـهـ صـانـعـ

فـشـدـتـ عـلـىـيـ فـيـهاـ اللـثـامـ وـأـعـرـضـتـ

وـأـقـيلـ بـالـكـحـلـ السـحـيقـ المـداـمـعـ

إـنـيـ لـعـهـدـ الـوـدـ رـاعـ وـلـأـنـيـ

بـوـصـلـكـ مـالـمـ يـطـوـنـيـ الـمـوتـ، طـامـعـ

لـمـ يـخـلـقـ الدـمـعـ فـيـ جـفـنـ اـمـرـىـءـ عـبـثـاـ، فالـشـاعـر العـبـاسـ بنـ الـأـحـنـفـ  
تـسـيلـ دـمـوعـهـ حـيـنـاـ رـأـىـ السـيلـ قـادـمـاـ مـنـ وـادـ قـرـيبـ مـنـ الـمـكـانـ الـذـي  
يـسـكـنـهـ الـحـبـيـبـ:

(1) - أدـونـيـسـ - دـيـوـانـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ - صـ106ـ.

يقول:

جري السيل فاستبكاني السيل إذ جرى  
وافتضت له من مقلتي غروب  
وما ذاك إلا حين خبرت أنه  
يمهُ بوايد أنت منه قريب  
يكون أجاجاً ماؤه فإذا انتهى  
إليكم تلقى طبكم فيطيب  
فياساً كني شرقى دجلة كلّكم  
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب  
إن لوعة القلب تستدر عصبي الدمع؛ وهذه جنایات العيون.  
يقول البحترى<sup>(1)</sup>:

بعينك لوعة القلب الرهين  
وفرط تتابع الدمع الهتون  
نظرت وكم نظرت فأقصدتني  
فجاءات البدور على الغصون  
ورئت نظرة أقلعت عنها  
بسکر في التصانی أو جنون

---

(1) - ديوان البحترى - ص 133.

فيالله ماتلقى القلوب الهوا

ثم من جنایات العيون

فقد تساهم الدموع في إطفاء لهيب القلب الذي يتحرق شوقاً للقاء  
المحبوب والظفر منه بكمال الوصال ونعيمه.

يقول الشاعر الصوفي «المتنيب العاني»<sup>(1)</sup>:

إن كنت لي صاحباً قف لي بهبود

وقل لعينك في أطلالها جودي

عسى الدموع إذا انهلت غوارتها

تُطفي لهيب سليب اللبّ محمود

تخالفت زفاري والدموع بها

فهنئ ماين تصويب وتصعيد

وهو يرى أن العاشق لا يلام إذا أضناه حبه، وتقرّحت من البكا

عيناه:

فلا تلم من شفه جواه

وقرّحت من البكا عيناها

ونلاحظ هنا صورة التأثير الشديد الذي يعانيه العاشق وتجلى  
الصورة النفسية حيّة في العينين المجرحتين من كثرة البكاء وحدّته  
(قرّحت).

(1) - فن المتنيب العاني - د. أسعد علي - 232.

والشاعر قيس بن الملوح<sup>(1)</sup> يرى أنَّ محبوبته هي سبب هيمانه وبكائه الدائم:

معدبتي لولاك ماكت هائماً

أيت سخين العين حرّان باكيا

فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي

وأنت التي إن شئت أنعمت باليها

أمّا الشاعر «نصيّب» فله في قلق العين العاشقة ساعة الهجرة عند التلacci مايحمّلنا همه ولو بعد مئات السنين:

ومافي الأرض أشقى من محبٍ

وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكياً أبداً حزيناً

مخافة فرقية أو لاشتياق

فييكي إن نأوا شوقاً إليهم

وييكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التلacci

وتتسخن عينه عند التلacci

(1) - مصطفى طلاس - مختارات شعرية - ص122.

ومن أعجب ما قبل في الدمع مأذنٌ إلى السري<sup>(1)</sup>:

بنفسي من رد التحية ضاحكاً  
فيجدد بعد اليأس في الوصل مطعمي  
إذا مأبدى الغرام سرائرِي  
وأظهر للعذال ما بين أضلاعي  
وحالت دموع العين يبني وبينها  
كأن دموع العين تعشقه معي  
وقول ماني الموسوس:  
بكت عيني غداة البَين دمماً  
وآخرى بالبكاء بخلت علينا  
فعتابت التي بخلت علينا  
بأن أغمضتها يوم التقينا

---

(1) - أبو هلال العسكري - ديوان المعاني - 264.

## شيخوخة العين

في فصل الخريف تذبل الورود، وتصفر أوراق الشجر.

وفي خريف العمر يسري الكلل والوهن في خلايا وأعضاء الإنسان،  
وتشيخ العيون، ويضعف البصر. تلك هي سنة الوجود؟

وهاهو شاعر الشباب أحمد رامي يأخذ دوره في ملعب الحياة  
بعد أن ولّ عن الشباب فوقف قبل وفاته على المحنى مرتعشاً  
يخشى الانزلاق وراح يعبر عن آخر مرحلة من مراحل العمر مجيباً  
على المتسائلين:

يقولون ما هذا الشحوب الذي نرى  
بوجهك بل ما هذه النظاراتُ  
قلت لهم: لأنّي دفت نضارتي  
وقد ضربت في قلبي الظلماتُ  
تشرد لحظي ثم غشّته ترحةُ  
كما غشيت شمس الضحى المزناثُ  
لقد كان بِرَأْفَا وقد كان ضاحكاً  
فراح بريق اللحظ والضحكاتُ

ولذا بلغ الإنسان أرذل العمر راح البصر يخبو شيئاً فشيئاً وليس من  
سبيل إلى إعادة نضارته وتألقه.

ويتطلع الإنسان العجوز أمامه وهو ينطلق متعرضاً في خريف العمر.  
فإذا رأى لا يرى سوى شمس وجوده تجري مسرعة نحو الغروب  
ويتمثل قول أبي حازم الباهلي:

ولَيِّ الشَّابِ فَخَلُّ الدَّمْعِ يَنْهَمِلُ  
فَقَدِ الشَّابِ بِعْقَدِ الرُّوحِ مَتَّصِلُ

## أفعال العين وتأثيراتها «جولة فنية في آفاق العين»

في ظلال العينين يتعلم الإنسان معنى الحب، وتبسط الأزاهر أيديها  
للنسميم، ويرقص العشب على إيقاع الندى.

يقول المتنبي:

لعينيك مايلقى الفؤاد ومالقى

وللحبّ مالم يقَ مني ومابقى

وما كنت من يدخل العشق قلبه

ولكُنْ من يصر جفونك يعشق

وفي قصيدة، نهج البردة<sup>(1)</sup> لأمير الشعراء أحمد شوقي نرى الشاعر  
يستغثى بالمقتول للقاتل ويستتجد بالغزال للسبع:

ريمٌ على القاع بين البانِ والعلمِ

أحلٌ سفك دمي في الأشهر الحرمِ

رمي القضاء بعيوني جؤذر أسدًا

يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجمِ

(1) - أحمد شوقي - الشوقيات - المجلد الأول - ص190.

لما رنا حدثني النفس قائلةً  
ياويح جنك بالسهم المصيب رُمي  
ياناعس الطرف لاذقت الهوى أبداً  
أسهرت مضناك في حفظ الهوى فِيمِ  
الحسن في الحدق الرواني، وسرّ السعادة في الدنيا تجلوه عينان على  
حدّ تعبير الشاعر بدوي الجبل:  
ويانفسي عبدتك عن يقينِ  
وحسبي قد عبدت بك الإلهانِ  
أحبّ الحسن في الحدق الرواني  
وفي ثغر الفتاة وفي لماها  
سر السعادة في الدنيا وإن خفيت  
تجلوه منك على الأكونان عينانِ  
آمنت بالحب ماشاءت عنديته  
آمنت بالحب فهو الهدام الباني  
وحيين يزور الطيف المحبوب أجنفان الشاعر يرتفع على أجنحة الهوى  
إلى عالم مسحور من رؤى العينين:  
رفعتني بجناحي قدرةٍ وهو  
لعالم من رؤى عينيك مسحور

تعبٌ من حسنه عيني فإن سكرت  
أغفت على ستدسي من أساطير  
أخداع النوم إشفاقاً على خلُمِ  
حان على الشفة اللمياء مخمور  
وزار طيفك أجفاني فعطرها  
باللطيف الغيرات المعاطير  
والعيون لا تبوح بما خبأته من أسرار القدر في طيات أهدابها التي  
تجاري المدى في ابتكار الكون تلو الكون:  
يقول الشاعر سعيد عقل:

أعينيك تأني وخطر  
يفرش الضوء على التلّ القمر<sup>(1)</sup>  
ضاحكاً للغصن مرتاحاً  
إلى ضفة النهر، رفيقاً بالحجر  
علّ عينيك إذا آنستا  
أثراً منه عرا الليل خدر  
من ثرى أنت إذا بحث بها  
خبأت عيناك من سرّ القدر

---

(1) - سليمان العيسى - حب وبطولة.

نسج أجفانك من خيط السهى  
كل جفن ظل دهراً يتنتظر  
مفرد لحظك إن سرّحته  
طار بالأرض جناح من زهر  
وإذا هدبك جاراه المدى  
راح كون تلو كون يبتكر  
تفتك سهامها في قلب الحب فيجيب ابن المعتز:  
قالوا اشتكت عينه قلت لهم  
من كثرة الفتوك نالها الوصيُّ  
حررتها من دماءٍ من قتلت  
والدم في النصل شاهد عجبٌ  
ويقول آخر:  
قالوا الحبيب شكا. جعلت فداءه  
رمداً أضرى بعينه كالعندم  
فأجبتهم مازال يفتوك لحظه  
في مهجتي حتى تلطخ بالدم  
ويطالب الشاعر أحمد شوقي محبوبه بأن يقف عند حده وأن يغمد  
سيف لحظه ألا يكن إعلان هدنية مؤقتة<sup>(1)</sup>:

(1) - أحمد شوقي - الشوقيات ص 121.

قف باللواحظ عند حدقك  
وأجعل لغمدك هدنة  
نظرت إليك من الفتور  
أعلى روایات القنا

أين تقوى الله والتزام الحدود؟  
لحظها لحظها رويداً رويداً

كم إلى كم تكيد للروح كيداً<sup>(١)</sup>  
كف أو لاتكف إن بجنيني  
لسهاماً أرسلتها لن ثرداً  
تصلُّ الضرب مأوى لك حداً

فأثق الله، والتزم لك حداً  
أو فصح لي من الحجارة قلياً  
ثم صفع لي من الحدائـد كيداً

هذا الجفون القاتلة لاترحم؛ إنها جميلة تتهتك الألباب خلف  
حجابها فهي الشمس المنيرة في الأنوار تحطّف الأفجدة والأبصار!!

في ذي الجفون صور م الأقدار

راغي البرية يارعاك الباري

<sup>117</sup> المرجع نفسه - ص 117.

مائنت في هذا الحلي إنسية  
إن أنت إلا الشمس في الأنوار  
تهنئ الألباب خلف حجابها  
مهما طلعت فكيف بالأبصار؟

وقد تفتت العين بسيوف لحظها فريق دم العشاق ولاذنب لها في  
المحصلة. يقول الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري في  
قصيدته المشهورة:

يالليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده؟  
رقد السمار فأرقه أسف للبين يردد  
كلف بغزال ذي هيف خوف الواشين يشروع  
نصبت عيناك له شركاً  
في النوم فعزّ تصيده سكران اللحظ معربيده  
يتنضو من مقلته سيفاً  
فيريق دم العشاق به وكأن نعاساً يغمده  
والويل لمن يتقتلده  
كلا لاذنب لمن قتلت عيناه ولم تقتل يده  
يامن جحدت عيناه دمي  
خداك قد اعترفا بدمي  
فعلام جفونك تجحده؟

إن السيوف لتبتو أحياناً فلا تستطيع أن تتحقق الهدف ولكن

العيون تدمي القلوب بألحاظها القاتلة على حد تعبير شاعرنا  
البحتري<sup>(1)</sup>:

وغرير يلقى صبابة مزن  
مذلة الليل في صبابة كرم  
بث عن راحتيه شارب خمر  
وكأني للسكر شارب سُمٌّ  
وبحق إن السيوف لتبتو  
تارة والعيون باللحظة تدمي  
و قريب من هذا المعنى قول المتنبي<sup>(2)</sup>:  
ولذا اسم أغطية العيون جفونها  
من أنها عملَ السيوف عوامل  
وقوله:

كُلُّ جريح ترجي سلامته  
إلا فؤاداً دهته عيناهما

كما أنها لاترى في شخص المحبوب إلا الحسن على حد تعبير عمر  
بن أبي ربيعة<sup>(3)</sup>:

(1) - ديوان البحتري - ص 299.

(2) - ديوان المتنبي - ج 3 - الصفحات 252 - 271.

(3) - شكري فيصل - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ص 366.

وتعَرَّت ذات يوم تبرد	ولقد قالت لجارات لها
عمر كن الله أم لا يقتصد	أكما ينعتي تبصرنني
حسن في كل عين من تود	فتضاحكن وقد قلن لها
وقد يأْ كأن في الناس الحسد	حسداً حملته من أجلها
حور منها وفي الجيد غيد	ولها عينان في طرفيهما
ضحكتك هند وقلت بعد غد	كلما قلت متى ميعادنا؟

ويقول ذو الرمة في محبوبته مية:

وَمِيَةٌ أَحْسَنَ الشَّقَلَيْنِ جِيدًا  
وَسَالْفَةٌ وَأَحْسَنَهُمْ قَذَالًا  
فَلَمْ أَرْ مُثْلَهَا نَظَرًا وَعَيْنَا  
وَلَا أُمَّ الغَزَالِ، وَلَا الغَزَالِ

كما أن الشاعر المجنون تذكر عينه كل منظر بعد المحبوبة التي ملكت عليه سمعه وبصره فلم يعد يرى الحسن إلا فيها<sup>(1)</sup>:

كأني أرى الناس المحبين بعدها  
عصارة ماء الخنطل المتفلق  
فتتكر عيني بعدها كل منظر  
ويذكره سمعي بعدها كل منطق

(1) - أدونيس - ديوان الشعر العربي - ص 276.

ويشير ابن الرومي إلى وقع سهام العين:

نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها

ثم اثنت عنه فكاد يهيم

ولاه إن نظرت، وإن هي أعرضت

ووقع السهام وزرعهن أليم

ويتحدث قيس عن سهام لبني القاتلة التي لاتخطئ الهدف:

برت نيلها للصيد لبني وریشت

وریشت أخرى مثلها وبريت

فلما رمتني فأقصدتني بسهمها

وأنخطأتها بالسهم حين رميت

ويرى البحترى أن العين باب إلى القلب<sup>(1)</sup>:

تنزّدت منها نظرة لم تجد بها

وقد يؤخذ العلق الممنوع بالغصب

وما كان حظ العين في ذاك مذهبى

ولكن رأيت العين باباً إلى القلب

ومن الطريف أنَّ ابن المعتر يقارن بين ألوان الفتنة في الخدوود والورود

---

(1) - ديوان البحترى - ج 2 - 32 - (دار الكتب العلمية - لبنان).

والأصداف والعيون ليقرر في النهاية أن قن العيون أجل وأعظم من سواها:

ورد المخلود أرق من  
هذا تنسّق الأنوف  
ولذا عدلت فأفضل الور  
هذا يُشم ولا يضم  
سبحان من خلق المخلود  
وأغارها الأصداع فهي  
واستطع الأجنفان فهو  
وتبيّن للمحبوّ عن  
وتشير إن رأت الرقيب  
فتن العيون أجل من

العيون تسقى الهوى الذي يدب في الجسم ديب المدام.

يقول الشاعر المخسر:

سقنتني بعينيها الهوى وسقيتها

فديب ديب الخمر في كل مفصل

جاء أبو نواس بأروع منه بقوله:

أَحَبُّ اللَّوْمِ فِيهَا لَيْسَ إِلَّا

لتردد اسمها فيها ألم

ويدخل جبها في كل قلب

مدخل لاتغلقها المدام

وفي هذا الأفق قول المتibi:

وللسُّرِّ مني موضع لainale

نديم ولايفضي إليه شراب

العينان والقلب أعضاء في الجسم؛ ولكنها عند الأدباء شيء آخر،  
علم مستقل.

وقد تكون العينان سبباً في ابتلاء القلب بالهوى.

قال الأصمسي: تقدّمْتُ إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمّار.  
وإذا هو يقتل أصابعه، ويتلهم. فقلت له: علام تتلهف؟ فأنا  
يقول<sup>(1)</sup>:

عيناي مشؤومتان ويههمما!!

والقلب حيران مبتلى بهما

عرهفاته الهوى بظلمهما

ياليتي قبلهما عد متهمما

هـما إلى الحـين قادتا وهـما

دلـ على ما أـجـنـ دمعـهما

(1) - أمالى المرتضى - الجزء الأول - 499.

سأعذر القلب في هواه فما  
سبب هذا البلاء غيرهما  
وقد تسبب العين اندفاعاً إلى اقتراف الإثم، ودخول النار:  
لما نظرت إلي عن حدق المها  
وبسمت عن متفتح النوار  
وعقدت بين قضيب بان أهيف  
وكثيب رمل عقدة الزنار  
عُفِرَتْ خلبي في الترى لك طائعا  
وعزمت فيك على دخول النار

والعين تظهر مافي نفس صاحبها من بغض أو كراهة. فهذا قيس بن ذريح يتحدث عن الوشاة فيقول<sup>(1)</sup>:

أمسى وشاتك قد دبت عقاربها  
وقد رموك بعين الغش وابتدرروا  
تريلك أعينهم مافي صدورهم  
إن الصدور يؤدي غيابها النظر  
والعين ترى مايشاء الحب لا مايشاء الحب يقول الشاعر بدوي  
الجبل:

(1) - أدونيس - ديوان الشعر العربي - ص292.

مدُّه فيك مافجر ونجمته  
موله فيك ماقيس وليلاه  
سکبت قلبك في وجданه فرأت  
يا عز ما شئت لاماشاء عيناه

إن العين الذكية هي العين التي تعرف كيف تخدع الوشاة. يقول أبو الشيس:

إذا مالتقينا والوشاة بمجلس  
فليس لنا رسل سوى الطرف للطرف  
فإن غفل الواشون فزت بنظرة  
وإن نظروا نحوي نظرت إلى السقف  
وتتعطل لغة الكلام عند الوداع، ويشدوا اسحق الموصلي بشعره  
قائلاً:

ولما رأينا البين جدّ جده  
ولم يق إلا أن تبين الركائب  
دوننا فسلمنا سلاماً مخالساً  
فردّت علينا أعين وحواجب  
تصدّ بلا بغض وتخلس لحة  
إذا غفلت عنا العيون الرواقب

أما المستعين بالله فكان يسكت عن الكلام مستعيناً بلغة الهوى  
والعيون كي تفصح عما يدور بينه وبين حبيته من شؤون  
وشجون.

تكلم منا في الوجوه عيوننا

فتحن سكوت والهوى يتكلم  
ونغضب أحياناً ونرضى بطرفنا

وذلك فيما يبتنا ليس يعلم

أما التلعفرى (1197 م - 1277 م) فيحوم حول نار الوجنات ويذكر  
من خمر اللواحظ حيث يقول<sup>(1)</sup>:

أدارت من لواحظها كؤوساً

فأنستنا السلاف الخندريسا

رأبدت خدها القاني فكنا

هناك لنار جنتها مجوساً

فلا والله ماسلت عقولاً

لنا لكنها سلبت نفوساً

وقد يستدل بالنظر عن الضمير. ومنه قولهم «شاهد البغض  
اللحظ»<sup>(2)</sup>:

(1) - د. عمر موسى باشا - أدب الدول المتتابعة - ص 438.

(2) - ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج 3 - ص 68.

وقول زهير:

فإن تك في صديق أو عدو  
تخبرك العيون عن الضمير

وقول ابن أبي حازم:

خذ من العيش ماكفي  
ومن الدهر ماصفا  
عين من لا يحب وص  
لنك تبدي لك الجفا

ويقول عمر بن أبي ربيعة<sup>(1)</sup>:

وقلن: أهذا دأبك الدهر سادرا  
أما تستحي أو ترعوي أو تفك  
إذا جئت فامنح طرف عينك غربنا  
لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

وما أجمل ماناوجى به الشاعر علي الناصر عيني محبوبته لا لأنهما  
حوراوان دعواوان بل لأنهما عميقتان بأسرار الحب<sup>(2)</sup>:

(1) - د. شكري فيصل - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام - ص 341.

(2) - خليل الهنداوي - السير الذاتية - ص 169.

إنني أشاهد في عينيك ماجمعت  
هذى الطبيعة من إبداع فنان  
ففيهما أقرأ الآيات مكتشفاً  
سر الورى فهما وحيي وقرآنٍ  
ومنهما مصدر الإلهام يرتفعني  
على جناحيه فوق العالم الفاني  
أطير في عالم الأحلام مبتهاجاً  
مجرداً من تباريحي وأحزاني  
فنااظري وثني في تعبدِه  
يرنو إليك بتقديس وإيمان  
ويضطرم الشوق في غدير العين فيرى الدكتور إبراهيم ناجي<sup>(1)</sup> في  
عيني محبوبته بحراً وعاصفة وزورقاً يرتطم بصخور المجهول:  
ياللجدرين في عينيك إذ لعا  
بالسوق يومض خلف الماء مضطربما  
كأنني ناظر بحراً وعاصفة  
وزورقاً بالغد المجهول مرتطماً  
وأين منه ذلك الحبيب الساهر الذي يعقب سحره كأنفاس الربا  
ويسرح طرفه كأحلام المساء:

(1) - أحمد المختص بالله - ناجي شاعر الوجدان الذاتي - ص66.

أين من عيني حبيب ساهر  
فيه نبل وجلال وحياء  
وائق الخطوة يمشي ملكا  
ظلم الحسن، شهي الكبراء  
عقب السحر كأنفاس الريا  
سامم الطرف كأحلام المساء  
شرق الطلعة في منطقه  
لغة النور وتعبير السماء

وهذا علي بن الجهم تفتته العيون البغداديات فيقع في حبائل الهوى  
يُفعل العين بين الرصافة والجسر:

عيون المها بين الرصافة والجسر  
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى  
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن  
سلوت ولكن زدن جمراً على جمر  
سلمن وأسلمن القلوب كأنما  
تشكُّ بأطراف المثقفة السمر  
خليلي ما أحلى الهوى وأمره  
وأعرفني بالحلو منه وبالمر

وقد تكون العين رقيقة بالفؤاد على حد تعبير أبي نواس:

وغير الشباب محبتك الحسن

على جيده مناط التميم

فهو عُفُّ الجفون في النظر العمـ

د حذاراً على فؤاد النديم

العين وحدها لها حياة، والقلب وحده له حياة، وقد تفرج العين  
والقلب يتآلم.

يقول الشريف الرضي:

تلذُّ عيني وقلبي منك في ألم

فالقلب في مأتم والعين في عرس

كما أن العين تنطق، وتحدث الأحاديث الطوال؛ فهي تأمر وتنهى، تعدد وتؤمل ولكنها ملائفي:

وعد لعینیک عندي ماوفیت به

يأ طول ما كذبت عيني عيناك

ولها دائرة استعلامات تتجسس لها على القلب، فتهتك ستره،  
وتدفع سره.

والشاعر حائز بينهما، متعجب منها:

هامت بك العين لم تتبع سواك هوى  
من عُلّم العين أَنَّ القلب يهواك؟

والعين تبصر من الحجاز من في العراق، وترمي بسهام فتونها من ذي  
سلم فتصيب من في بغداد فتسيي وتصسي لاتمنعها شوامخ الجبال،  
ولا شواسع البيد.

سهم أَصَابَ ورَامِيهِ بِذِي سَلْمٍ  
من في العراق لقد أبعدت مرماك

والعين تحصي عدد شهدائهما، وتسجل أسماء من تصيبهم سهامها،  
وتقرأ على الشاعر من وراء صاحبها فيشهد جنابة العين، ويقرر براعة  
الحبية؛ لأنها لا تدرِي ماجنت عينها:

كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا  
بما طوى عنك من أسماء قتلاك

وحين تلفت العين يتلفت القلب.

ولقد مررت على ديارهم  
وطلولها بيد البلى نهب  
فوقفت حتى لج من لغب  
تضوي ولج بعذلي الركب  
وتلفت عيني فمد خفيت  
عني الطلول تلفت القلب

في بحر عينيها يبدو الأمل أفسح من سطح المعمورة، ينتشر غوصاً  
في الماضي وتحليقاً في المستقبل حيث يقول أدونيس:

حينما أغرق في عينيك عيني  
ألح الفجر العميقاً  
وأرى الأمس العتيقاً  
وأرى مالست أدرى  
وأحس الكون يجري  
بين عينيك وبيني

تكتشف حقائق الحياة الجميلة من قراءة أحاديث العين كما في قول  
النبي ﷺ: «عينان لا تشهما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين  
باتت تحرس في سبيل الله».

والروعة في المجاز الذي ذكر العين نيابة عن الإنسان كله؛ فكأن  
الإنسان جمّع في عينيه عندما يجاهد، أو يتوجه إلى الله مستغفراً متبعداً.  
وكما تتصل سلامة عيني الفرد بعيني المجتمع فإن العين تتصل  
بالمعنى؛ ولذا يقررون في قواعد الإعراب للبصر فعلين.

رأى البصرية؛ ورأى البصيرية أو القلبية.  
ويطلُّ البصر على البصيرة؛ بل تنجلُّ البصيرة في البصر.  
الحبة بصيرية قلبية وكلية.

فمن باب العينين يتم الدخول إلى عالم القلب وبعدها يكون معراج

الوفاء المقدس إلى العين الصافية ينبع الحب الأصغر.

عين الجسد الجميلة منطلق، وعين اليقين غاية.

وفي ساعة الحب تتحدد العيون فتصير العين قلباً والقلب عيناً.  
العين كتاب كشاف في مكتبة الوجه.

وخطاب العيون فنون على حد تعبير الدكتور أسعد علي<sup>(1)</sup>:

عيناك كتاب في آب  
تنقلان البحر إلى الجبل  
فأسبح في شاطئ الأمل  
ياحبيتي أحب أن أسمع منك نشيد الأناشيد  
ونشيد الإنшاد، وأغنية الحب، وسورة مريم  
وكل ماصباً إليه الحجون، وأنت تعرفين أنك تستطيعين  
اختصار كل ذلك بنظرة عميقه زرقاء كالبحر والسماء...».  
وفي عين العظيم تصغر العظام كما يقول المتنبي:  
على قدر أهل العزم تأتي العزائم  
وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها  
وتصغر في عين العظيم العظام

---

(1) - د. أسعد علي - مسرح الجمال والحب والفن - ص 159.

وقال جبران خليل جبران في كتابه المجنون<sup>(1)</sup>:  
قالت العين يوماً لرفقاتها «الحواس إنني أرى وراء هذه الأودية جبلأً  
مبرقاً بالغيوم فما أجمله جبلأً».

فأضفت الأذن لحديثها ثم قالت لها:  
«أين ذلك الجبل الذي تنظرin؟ إنني لأسمع صوته».

ثم قالت اليد:  
«أما أنا فعبياً أحاول أنأشعر به أو أمسنه فليس هنالك جبل البتة».

وقال لها الأنف: «لاأقدر أنأشمه. ألا إن وجوده لستحيل».

فتحوت العين إلى جهة أخرى ضاحكة في ذاتها.  
أما الحواس الأخرى فعقدن مجلسأً بحشن فيه عما دعا العين إلى مثل  
هذا الضلال.

وبعد البحث والتدقيق قررن بإجماع الآراء:  
(إن العين قد خرجت ولاشك عن صوابها).

أما الأخطل الصغير شاعر الحب والشباب فيخاطب المحبوبة التي  
تربعت على عرش الجمال<sup>(2)</sup>:

الصبا والجمال ملك يديك

**أيٌّ تاجٌ أعزُّ من تاجيك**

(1) - المجموعة الكاملة لمولفات جبران - ص38 - دار صادر بيروت.

(2) - ديوان الأخطل الصغير - ص34 و 45.

نصب الحسن عرشه فسألنا  
من تراها له فدلٌّ عليك  
فاسكبي روحك المخنون عليه  
كانسكاب السماء في عينيك  
ويعاتب برفق قائلاً:

يا عاقد الحاجبين على الجبين اللجين  
إن كنت تقصد قتلي قتلتني مرتين  
تبعدوا لأن لاترانني وملء عينك عيني  
ومثل فعلك فعلي ويلي من الأحمقين !!  
ولكنها ظالمة لاترحم؛ فبكاء الشاعر يصل إلى حدود اليأس:

عش أنت إني مث بعدي<sup>(1)</sup>  
وأطل إلى ماشت صدك  
ما كان ضرك لو عدلت  
أما رأت عيناك قدك  
وجعلت من جفني متكاً  
ومن عيني مهدك  
وحياة عينك وهي عندي  
مثلكما القرآن عندك

(1) - ديوان الأخطل الصغير - ص 143.

ماقلب أملك إن تفارقها ولم تبلغ أشدك  
 فهوت عليك يصدرها يوم الفراق ل تستر دك  
 بأشد من خفقان قلبي يوم قيل خترت عهلك  
 والحب لا يستطيع لحبه كتماناً لأن العين تفضح صاحبها. وعبث  
 الهوى أقوى من الكتمان.

يقول الأخطل الصغير في قصيده «عروة وعفراء» شارحاً قصة  
 الطفليين العاشقين<sup>(١)</sup>:

ولذا التقى النظaran تلمع أسطر  
 يعيا بحلّ رموزها الولدان  
 حتى إذا كبراً تولّ شرح ما  
 لم يفهمها قلبا هما الخفكان  
 فإذا الوداد هوئ وصادف تربة  
 يكرأ فطاب مغارساً ومجاني  
 ويع الحب إذا تملّكه الهوى  
 نُّشت به عينان فاضيحتان  
 عبثاً يحاول ذو الهوى كتمانه  
 عبث الهوى يقوى على الكتمان

(١) - ديوان الأخطل الصغير، دار الكتاب العربي، بيروت - ص 289.

ويقسم الشاعر نديم محمد بعيني محبوبته مؤكداً التزامه وثباته على  
الوفاء والحب<sup>(1)</sup>:

لاوعينيك ما هجرت، ولا

ولا مرّ في ظنوني جفاء  
أرجعتني إليك نفس لها الله

وعهد له عليّ الوفاء

أما الشاعر رفيق الفاخوري فيرى أنه كان يتخطى في الظلام على غير  
هدى إلى أن أطل شعاع النور من عينيها فاهتدى إلى الحب، وانجلت  
عنه الهموم والأحزان:

به أبصرت عيني ولم أك مبصرا

وهيئت رياحي وانجلت غمرة الكرب<sup>(2)</sup>

ولولا شعاع بين عينيه راعني

وشرد عقلني ما هتدت إلى الحب

والأجمل من عينيها حب الشاعر سعيد عقل لعينيها<sup>(3)</sup>:

أجمل من عينيك حبي لعينيك

فإن غئيت غنى الوجود

(1) - مجلة القيثارة، العدد 12 - ص.9.

(2) - مصطفى طلاس - مختارات - ص.498.

(3) - مجلة القيثارة - العدد 12 - ص.3.

كنت ببالي فاشتممت الشذا

فيه، ترى كنت ببالي الورود؟

وقد تذوق الشاعر عبد الله الفيصل طعم الهوى بعد أن عاش زمناً  
هائماً النفس مطمئن البال.

فانقلبت حاله، لأن الحبوبة أصبحت شغله الشاغل يتلظى قلبه حباً  
وحنيناً، ومن بريق الشوق في عينيها يشعل نيران الحنين:

من أجل عينيك عشقت الهوى

بعد زمان كنت فيه الخلبي

وأصبحت عيني بعد الكري

تقول للتهيد لا ترحل

من بريق الوجد في عينيك أشعلت حنيني

وعلى دربك أَنِّي رحت أرسلت عيوني

الرؤى حولي غامت بين شكري ويفيني

والمنى ترقص حولي على لحن شجوني

وفي تجربة الضياع لدى الشاعر عبد المعطي حجازي يواجه الشاعر  
كآبته بصمت، ويود لو يهرب إلى عينيها بعد أن فقد إيمانه:

من بعد أن فقدت إيماني، وصرت ملحداً

عيناك ملجمائى الأخير  
أمسح خدي فيهما  
منتظراً نهايتي في بقعة الضوء المثير  
عيناك عشب ندى  
أفرش ظلي هنئه ثم أواصل المسير  
عيناك ياللكلمتين لم تقا لا أبداً  
خانهما التعبير حتى ظلتا كما هما  
راهبتين تلبسان الأسودا  
تنتظران ليلة العرس سدى

إلا أنَّ عينيها غابة أحزان الشاعر، وقصيدته السوداء الرائعة  
ترتطمأن بجدار الغربية الناهض رغم الوله العميق والتعشق، والتناهي  
في الحب:

فجأة صرنا غريبين ووحيدين نشير الشفقة  
تلتفي علينا حيناً وتشرد  
ثم ترتد بلا ذكرى كأننا مالتقينا



الخاتمة

---

**الخاتمة**

---



هذه جولة واسعة في حدائق الشعر العربي قديمه وحديثه تتبعنا فيها مقالاته الشعراء في وصف العيون وأفعالها وتأثيراتها وتعزّفنا على أساليبهم في التعبير عن الجمال ونظرتهم إليه في مختلف العصور.

وهذه هي صورة العين كما رسمها شعراًًاً على امتداد العصور معتبرين عن تجاربهم وانفعالاتهم واحساساتهم الجمالية. فهل حصل تغيير في الذوق العربي عبر هذه العصور استجابة لحاجات جمالية جديدة عندهم، ولدتها ظروف المعيشة، والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

لقد اختلف الإنتاج الجمالي بمضمونه وبأبعاده عبر القرون. وربما نجمت المغالطة الكبرى في الأطروحات النظرية الجمالية عن مزج الأزمنة التاريخية المختلفة عند معاينة المنتجات الجمالية.

ومن الملاحظ أنَّ التواصل بين الماضي والحاضر يتراوح ما بين الاستفادة من قيم الماضي الجمالية، وتقديس الماضي لمجرد كونه ماضياً، وإيجاده في الحاضر كمثل أعلى جمالي.

---

وتبقى الصلة الفنية بالماضي من الصلات الهامة<sup>1)</sup>.

---

(1) - أطروحات جمالية - محمد الجندي - دمشق 1985.

وقد ساعد ذلك على احتفاظ اللغة بالكثير من موروثاتها القديمة، وعلى احتفاظ أدب اللغة بالكثير من النماذج الموروثة لكن التطور بقي مستمراً عبر التاريخ شكلاً ومضموناً.

إن المعاني التي تعاقب عليها شعراء العصر الجاهلي في الحديث عن العيون وأوصافها متقاربة تشتراك في الصورة الخارجية، حيث اعتمدوا على التشبيه والمقاربة وتناولوا ذكر عيون الغزلان والجاذر. وأغربوا عن رقة شعورهم وإحساساتهم بلغة عذيب جرسها، حلوة ألفاظها معتمدين على التشبيه الحسي المستمد من الحياة التي كان يحياها هؤلاء الشعراء الجاهليون ورقة الحياة الداخلية التي كانت تنطوي عليها نفوسهم. في الرقة يبدو الإحساس. وفي الخشونة تبدو الصورة الحسية التي تعكس ذلك الإحساس. وإذا تجاوزنا العصر الجاهلي إلى ماتلاه من عصور لاحظنا أن الذوق العربي الأصيل بقي محافظاً على ما كان عليه في السابق.

العيون السود الطبيعية هي التي انتشى العربي بلمحاتها، وتكللت عيناه بلحاظاتها الساحرة. فوضع لها الشعراء كياناً جماليًّا متعدد المعاني والصفات، واتخذوه مقياساً للجمال.

أما اللون الأزرق في العيون فكان علامة فارقة للأعجمي ذمها الشعراء العرب ووصموها بالقباحة والحسد.

ولكن العيون الزرق أخذت تتکاثر بين مشاهير العرب في العصر العباسي الذي كان الكثير من الخلفاء فيه يتمنون إلى أمهات روميات وترکيات.

شُبّهوا زرقة العين بزرقة عناق الطير، أو بزرقة حد السيف لا بزرقة السماء لأنَّ جمال غيوم السماء في الصحراء يطفى على جمال الصفاء والزرقة.

ولذا تحولت كراهية العيون الملونة التي سادت في عصور الجاهلية والإسلام إلى حب وإعجاب وخصوصاً في العصر الحديث الذي أصبح فيه حضور العيون الخضر والبرق واضحاً تزخر به روائع الغزل الحديث. إنَّ الشاعر القديم كان يصف الأشياء كما تبدو لعينه. ولذلك جاءت صوره شكليَّة خارجية تعتمد على تسطيع الصور وعدم ربطها بجوهر الرؤية الانفعالية للحياة.

وهي أشبه ما تكون بزخارف الخاتم المحكمة الصنع نعجم بياقانه وتنتمل دقة صياغته.

ولقد تطورت الصورة في الشعر الحديث وانتقلت نقلة واسعة من المباشرة إلى الإيحاء. من المتظور المادي الشكلي إلى جوهر الرؤية الانفعالية العميقية، وإلى الرحلة عبر الداخل، ومتصلٌ بها من تموُّجات نفسية نابضة بالانفعال ورنين اليأس، وألم الروح الرقيقة المتعطشة للنور والنقاء.

لقد جسّدت الكلاسيكيَّة العربية من خلال شخصيتها الغنائية الواحدة أصيلاً والمتجددَة شكلياً عبر التاريخ وحدة التراث العربي على الصعيدين الفني والجمالي من جهة. وديومة الإيقاع الغنائي العربي من جهة أخرى. وتلك أدَّت إلى نسف الحدود الزمانية والمكانية الفاصلة بين شاعر آخر كامرئ القيس وجميل بشينة وابن زيدون ونزار قباني.

لقد امتدت الكلاسيكية الغنائية العربية لترصد توجهات العقل العربي، وأجواءه الجمالية ولم تتلكأ على عتبة الشعر العربي الحديث لتجدهم.

لقد كان الغزل في شبكة الصور الحسية للشعر التقليدي الشارة المميزة للتراث العربي. والغزل بالمعنى الحضاري رمز لتجدد الحياة وخصوصيتها واستمرارها. إنه تفتح الذات الإنسانية على ما في داخلها وما حولها في اندفاع للأخذ والعطاء والتفاعل<sup>(١)</sup>.

... وأخيراً لابد من الإشارة إلى أن صورة العين أو مجموع الصور لاتشكل وحدتها العمل الفني لأنها أجزاء من كل عام ولا بد من ربطها بهذه الأجزاء، أو دراستها في ضوئها.

هذه دراسة انتقائية في رحاب أشعار ملأى بالحياة. كان فيها شعراً علينا العرب مبدعين في ابتكار المعاني وصياغة الألفاظ والتعبير عن المشاعر والأحساس وتذوق الجمال. ولذا خلُّفوا لأجيالهم وللأجيال اللاحقة تراثاً رائعاً في وصف العيون.

ومنذ البداية وضعت في حسابي أنه لابد من الوقوع في اختباء كثيرة، لقد حزت أمري مرات عديدة وفي كل مرة كانت تتردد خطاي وكانت أشعر أن فصولاً مازالت بحاجة إلى مزيد من الأناء، وأن بعض المواضيع مازالت تحتاج إلى كتاب كي تبلغ تكاملاً لها.

ولكن هذا لم يمنعني من متابعة السير على هذه الطريق وأضاعاً نصب عيني أن أقدم شيئاً في هذا المجال خير من ألا أقدم شيئاً على الإطلاق.

(١) - دراسات في الشعر العربي الحديث - امطانيوس ميخائيل - ص 181.

ولاني لأرجو أن أكون قد قدمت بعض العطاء وهذا حسيبي.

لديّ شعور طاغ بقدسية الكلمة

لذا نمت الخشية من أن أودع المطبعة ما قد يُضيّع على الناس وقتهم،  
أو ما قد أشعر بعد زمن قليل بخفته، وأندم على إبراده ورحت أؤجل،  
ولكن إلى متى؟

لقد أدركت أنني لن أكون كاملاً أو قريباً من الكمال. ولكن خطوة  
جدية ومتواضعة تجعلني أعزز ثقتي بجدوى ما أقدم، وبأن الحياة سيرورة  
نحو الكمال وليس وصولاً إليه.



مصادر الدراسة \_\_\_\_\_

## **مصادر الدراسة**



- 1 - ديوان ابن الفارض - دار صادر - بيروت 1962.
- 2 - ديوان أبي نواس - القاهرة - 1953.
- 3 - ديوان الأخطبل الصغير «الهوى والشباب».
- 4 - الأصميات - للأصمي - دار المعارف بمصر - 1964.
- 5 - أطروحات جمالية - محمد الجندي - دمشق - 1985.
- 6 - ديوان الأعشى - دار الكاتب العربي - بيروت - 1983.
- 7 - الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني - دار صعب - بيروت - 1987.
- 8 - ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر - 1969.
- 9 - أمالي المرتضى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتاب العربي - بيروت.
- 10 - ديوان البحترى - دار الكتب العلمية - بيروت - 1987.
- 11 - البعد الجمالي - لهربرت ماركوز - ترجمة جورج طرابيشي - دار الطليعة - بيروت - 1979.
- 12 - تحفة العروس ومتعة النقوس - تحقيق خليل العطية - لندن - 1992.
- 13 - تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث - للدكتور نعيم اليافي - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق.

- 14 - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام - للدكتور شكري فيصل -  
مطبعة جامعة دمشق - 1964.
- 15 - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - الدار الإسلامية - بيروت -  
1987.
- 16 - الجمالية عبر العصور - لإتيان سوريو - ترجمة ميشال عاصي -  
منشورات عويدات (باريس).
- 17 - حب وبطولة - لسليمان العيسى - مكتبة الشرق بحلب.
- 18 - دراسات فنية في الأدب العربي - للدكتور عبد الكريم اليافي -  
مطبعة جامعة دمشق - 1972.
- 19 - دراسات في الشعر العربي الحديث - لامطانيوس ميخائيل - المكتبة  
العصيرية (بيروت).
- 20 - الديوان الجديد لأمين نخلة.
- 21 - ديوان ديك الجن الحمصي - مجمع عبد المعين الملوي - مطبع  
الفجر بحمص - 1960.
- 22 - زهرة الآداب وثمر الألباب - لأبي اسحق القيرواني - القاهرة -  
1953.
- 23 - السيرة الذاتية - خليل الهنداوي.
- 24 - ديوان الشعر العربي - لأدونيس - المكتبة العصرية - بيروت - 1964.
- 25 - شاعر وقصيدة (مختارات شعرية) - لمصطفى طلاس - دار طلاس.
- 26 - الشعر والشعراء - ابن قتيبة - دار الكتب العلمية - بيروت 1981.
- 27 - شعر الهذلين - للدكتور أحمد زكي - دار الكاتب العربي 1969.
- 28 - شرح اختيارات المفضل - للخطيب التبريزى - دار الكتب العلمية -

بيروت 1987.

- 29 - الشوقيات - دار العودة - بيروت.
- 30 - طوق الحمام - ابن حزم الأندلسي.
- 31 - طفولة نهد - نزار قباني.
- 32 - العقد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي - دار الفكر.
- 33 - علم الجمال «الاستطيقا» - دينس هويسمان.
- 34 - علم الجمال - محمد نظمي مسالمه - دار الفكر الجامعي.
- 35 - ديوان عمر بن أبي ربيعة.
- 36 - العين في الشعر العربي - الدكتور علي شلق.
- 37 - فقه اللغة وسر العربية - لأبي منصور الشعالي.
- 38 - فكرة الجمال - هيغل... ترجمة جورج طرابيشي - دار الطليعة -  
بيروت.
- 39 - فن المتجب العاني - الدكتور أسعد علي.
- 40 - في الأدب الأندلسي للدكتور جودت الركابي - دار المعارف بمصر  
- 1966.
- 41 - في أدب وطب العيون للدكتور عبد الرحمن البابا.
- 42 - في النقد الجمالي - للدكتور أحمد محمود خليل - دار الفكر -  
دمشق.
- 43 - الكشكوكول - لبهاء الدين العاملبي.
- 44 - لسان العرب - لابن منظور - دار صادر - بيروت.
- 45 - المأدبة - لأفلاطون - باريس 1964.
- 46 - شرح ديوان المتنبي - دار الكتب العلمية - بيروت - 1987.

- 47 - شرح ديوان مسلم بن الوليد - تحقيق سامي الدهان - دار المعارف مصر - 1970.
- 48 - مجاني الأدب - للأدب لويس شيخو اليسوعي.
- 49 - مجمع البيان - للطبرسي.
- 50 - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران - دار صادر - بيروت.
- 51 - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني - دار الجيل - بيروت.
- 52 - مدخل إلى فنون الجميل - جيلسون - باريس - 1963.
- 53 - مسألة الحجاب - لمرتضى المطهرى - الدار الإسلامية - بيروت - 1983.
- 54 - المستطرف في كل فن مستطرف - الأ بشيهي - دار الجيل - بيروت - 1992.
- 55 - مسرح الجمال والحب والفن - للدكتور أسعد علي.
- 56 - مفاهيم علم الجمال - شارل لا لو - باريس - 1952.
- 57 - ديوان النابغة الذبياني - تحقيق د. شكري فيصل - دار الفكر - بيروت - 1968.
- 58 - ناجي شاعر الوجдан الذاتي - لأحمد المعتصم بالله.
- 59 - النقد الأدبي «أصوله ومنهجه» لسيد قطب - دار الفكر العربي - 1952.
- 60 - النقد الجمالي - لأندرية ريشار - منشورات عويدات - بيروت.
- 61 - النقد الفني - جيروم ستوليتز - ترجمة الدكتور فؤاد زكريا (المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

— مصادر الدراسة —

---

62 - نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب - لأحمد التيفاشي - الرئيس للكتب والنشر - لندن - 1992.

63 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - لأبي منصور الشعالي - دار الكتب العلمية - بيروت.

المجلات:

- مجلة اللوتس - الأعداد: 65 - 66.

- مجلة القيثارة - العدد: 12.

- مجلة الموقف الأدبي - العدد 857 لعام 1975.



الفهرس \_\_\_\_\_

## **الفهرس**

---



7 .....	المقدمة
13 .....	استهلال: بين يدي الكتاب
19 .....	<b>الفصل الأول</b>
21 .....	- مدخل إلى معرفة الجميل
35 .....	- الجميل في كتب اللغة
37 .....	- بين الجميل والحسن
41 .....	<b>الفصل الثاني</b>
43 .....	- معاني العين
47 .....	- ثقافة العين وأهميتها
50 .....	- أنواع النظر
57 .....	<b>الفصل الثالث</b>
59 .....	- محاسن العين
60 .....	- أوصاف العيون الجميلة:
65 .....	<b>الفتور</b>

69 .....	العين الكحيلة الساحرة .....
89 .....	العين الحوراء .....
95 .....	العين الزرقاء .....
105 .....	العين الخضراء .....
109 .....	<b>الفصل الرابع ..</b>
111 .....	- معايب العين ..
117 .....	- العين الحاسدة ..
126 .....	- العين العميماء ..
133 .....	<b>الفصل الخامس ..</b>
135 .....	- معاني البكاء الإنسانية ..
141 .....	- شيخوخة العين ..
	- أفعال العين وتأثيراتها ..
143 .....	«جولة فنية في آفاق العين» ..
171 .....	<b>الخاتمة ..</b>
179 .....	<b>مصادر الدراسة ..</b>
187 .....	<b>الفهرس ..</b>







# العيون في الشعر العربي

«... في هذا الكتاب (العيون في الشعر العربي) للأستاذ محمد جميل الخطاب استعراض لما يتصل بالعيون في نسقين:

- \* نسق الجميل خلقاً وشكلاً وتشكلاً مادياً.
- \* ونسق الجميل إبداعاً واتساقاً وقيمة معنوية وروحية مبثوثاً في صور الإبداع الفني والأدبي والفكري.

ولم يدخل الباحث بجهد في تقصي المعرفة حول مواضيع تتصل بالبصر أو البصيرة لاستكمال بحثه. كما أنه عرج على أبواب أخرى في مجال المعرفة المتصل بالعين لغة ومدلولاً ودقة وصف وهمامش دلالية...

إنه كتاب يستحق القراءة، وجهد باحث يستحق الاهتمام، وموضوع يستحق الاستكمال، إذ لا يبلغ الكمال إلا من هو الكمال بعينه...».

د. علي عقلة عرسان

دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - اللاذقية - ص.ب 1018 هاتف 422339

